مجلة

مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد ٤١-٤٢

جمادى الآخرة - ذو القعدة ١٤٣٦ هـ إبريل - سبتمبر ٢٠١٥ م

- الرياضُ المُعطَّرة بذكر بعض خصائص المدينة المنوّرة
- الشيخ محمود شويل المدني وشهادته في الملك عبد العزيز
- وادي العقيق...
- بنو ظفر من الأوس

وادي العقيق المبارك

مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة
Al Madinah Al Munawwarah Research & Studies Center

الرياضُ المُعطَّرة

بذكر بعض خصائص المدينة المنوّرة

إعداد

د. أحمد بن علي بن أحمد القرني

الأستاذ المشارك بكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية

بالمدينة المنوّرة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على النبي الأمين , وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإن المدينة المنورة (١) كانت وستظل مهوى أفئدة الدارسين؛ لما تحفل به من فضائل ومزايا وخصائص تفرّدت بها عن غيرها من البلدان, بما في ذلك مكة المكرمة, وبيت المقدس .

---

(١) تسمية المدينة بهذا الاسم (**المدينة المنورة**) مما اختلف فيه العلماء والباحثون.

وقد احتجّ من منعه بأنه لم يُذكر في أسماء المدينة عند مَن كتب عن أسمائها. كما أنه لم يرد في المصادر المتقدمة, وإنما هي تسمية متأخرة من وضع الأتراك العثمانيين.

قال العلامة **بكر أبو زيد** رحمه الله : " شاع في العصور المتأخرة قولهم : "مكة المكرمة" ، و "المدينة المنورة" ، و هما –أي : المكرمة ، و المنورة– وصفان مناسبان ، لكن لا يعرف ذلك عند المتقدمين من المؤرخين وغيرهم ، وهو – على ما يظهر– من مُحدَثات الأعاجم التُّرك ؛ إبان نفوذِهم على الحرمين. وقد بيَّنْتُ ذلك في بعض ما كتبتُه من قبلُ " . خصائص جزيرة العرب (ص/٣٩) .

وقال د/ **محمد العيد الخطراوي** رحمه الله في مقدمته لتحقيق كتاب "المرور بين العلمين" للزرندي (ص/٨٢) عن كلمة المنورة : " وهي صفة للمدينة لم نعثر عليها فيما تحت يدنا من مراجع تعرضت لها, أو ترجمت لبعض رجالها, حتى آخر القرن العاشر " .

والراجح عندي جوازه وثبوتُه؛ أما جوازه؛ فلأنه وصفٌ مناسبٌ –كما قال الشيخ بكر أبو زيد فيما سبق – ولا محذور فيه.

كما أنه ليس هناك ما يمنع من إطلاقه وصفاً على المدينة؛ فالأوصاف ليست توقيفية كما هو معلوم. بل إنه موجودٌ في شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه, قال الشيخ بكر أبو زيد : " الدار النبوية الشريفة : طيبة ، و طابة الطيبة ، دار الهجرة ، المدينة النبوية المنورة ؛ كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

بطيبةَ رسمٌ للرسول ومعهدٌ منيرٌ, وقد تعفو الرسومُ وتهمدُ

خصائص جزيرة العرب (ص/٤٩).

وأما ثبوتُه؛ فلوجوده في المصادر المتقدمة, وفي استعمالات العلماء.

وأقدم مصدرٍ وجدتُ فيه هذا الوصفَ : **تفسيرُ مقاتل بن سليمان البلخي** (ت ١٥٠ هـ) (٤/ ٢٩٩) (تحقيق: عبد الله محمود شحاته , دار إحياء التراث – بيروت , الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ) فقد أورد فيه نصّاً يُروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما, وفيه تسميته لها بالمدينة المنورة. قال مقاتل : "حدثنا عبد الله, قال: حدثني أبي, قال: حدثنا الهذيل, عن المسيب، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: أقبلت سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف من مكة إلى **المدينة المنورة**، ورسول الله– صلى الله عليه وسلم– يتجهز لفتح مكة ...." الحديث.

لكن لا يوجد هذا الوصف في مخطوطة الكتاب المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث (٢/٣٥٦/ب) وإنما فيها المدينة فحسب! فلا أدري أهذا من تصرف الناشر؟ أم أن المحقق قد استفاد ذلك من نسخٍ أخرى؟

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

– **كما** ورد هذا الوصف في مصادر متقدّمة أيضاً, فقد ورد في **فتوح الشام** (١/ ٦١) لمحمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ) , (الناشر : دار الكتب العلمية , الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ) .

– وفي كتاب **سفر نامه** (ص/ ١١٢) لناصر خسرو الحكيم المروزي (ت ٤٨١ هـ) (تحقيق: د. يحيى الخشاب , دار الكتاب الجديد – بيروت , الطبعة: الثالثة، ١٩٨٣م) .

– وفي **سير الملوك** (ص/ ٢٥٦) للحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (ت ٤٨٥ هـ) , (تحقيق: يوسف حسين بكار, دار الثقافة – قطر , الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ) .

– وفي تفسير **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (٢/ ٣) لابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢ هـ) , (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد , دار الكتب العلمية – بيروت , الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ), ولا يوجد هذا الوصف في بعض نسخه الخطية.

– وفي **مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن** (ص/ ٨٦) لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) , (تحقيق: د/ مصطفى محمد حسين الذهبي , دار الحديث، القاهرة , الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ) .لكن لا يوجد هذا الوصف في نسخته الأخرى المطبوعة بتحقيق : مرزوق علي إبراهيم (١١٨/١).

– وهناك كتاب (**تاريخ المدينة المنورة**) : تأليف عمر بن شبه النميري (ت ٢٦٢ هـ) – (تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي).

لكن يظهر أنه من تصرف الناشر؛ فقد طبع الكتاب بتحقيق الشيخ الدويش بعنوان (أخبار المدينة).

وجاء في كتاب طبقات النسابين (ص/ ٦٥) للشيخ بكر أبو زيد قولُه : " طبع له كتاب (أخبار المدينة) باسم: (تاريخ المدينة المنورة), وهذه التسمية من تصرف الناشرين, وقد أبنت عنها في بعض التعاليق " .

وهذه المؤلفات كلها في المائة السادسة فما قبل .

– كما استعملَ هذا الوصفَ طائفةٌ من العلماء الفحول وجرت به أقلامهم, منهم :

– **علي بن موسى الشهير بابن سعيد الأندلسي** (ت ٦٨٥ هـ) في نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب (ص/ ١٤٧ و ١٨٨), (تحقيق : الدكتور نصرت عبد الرحمن , مكتبة الأقصى، عمان – الأردن) .

– و**محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي** (ت ٧٤١ هـ) في تفسير التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٤٤), (تحقيق :الدكتور عبد الله الخالدي , شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت , الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ) .

– والإمام **شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي** (ت ٧٤٨ هـ) في تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٤١/ ٢٥٢) و (٤٩/ ٢٦٩), (تحقيق : عمر عبد السلام التدمري , دار الكتاب العربي، بيروت , الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ) . لكن لا يوجد ذلك في الطبعة التي حققها د/ بشار عواد معروف للكتاب (٨٢٤/١٢) و (١٦٠/١٥) , وإنما فيها : (المدينة النبوية).

– و**صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي** (ت ٧٦٤ هـ) في الوافي بالوفيات (٢٢/ ٦٥), (تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى , دار إحياء التراث – بيروت , ١٤٢٠هـ) . غير أنه سماها : المدينة المنورة النبوية, وهي تسمية بديعة موفّقة, ولعله أول من سماها بذلك .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

– و**خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي** (ت بعد ٧٦٧ هـ) في رحلته المسماة " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق " (١٢/٢) (تحقيق : الحسن السايح , طبع صندوق إحياء التراث الإسلامي) وسماها : المدينة المنورة الشريفة.

– والإمام **إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي** (ت ٧٧٤ هـ) في البداية والنهاية (١٤٨/٢) (تحقيق : أحمد أبو ملحم وآخرين , دار الكتب العلمية , الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ) . ولا يوجد ذلك الوصف في الطبعة التي حققها د/ عبد الله التركي, وإنما فيها : (المدينة النبوية).

وفي طبقات الشافعيين (ص/ ٩٢٣) (تحقيق : د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب , نشر مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٣ هـ) . وسماها : المدينة المنورة النبوية.

– و**أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي** (ت ٨٢١ هـ) في نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ص/ ١٦) , (تحقيق : إبراهيم الإبياري , دار الكتاب اللبنانيين، بيروت , الطبعة: الثانية ١٤٠٠ هـ) وسماها كذلك : المدينة المنورة النبوية.

– و**محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، المكي الفاسي** (ت ٨٣٢ هـ) في شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام في مواضع, منها : (٢/ ٣٠٥ و ٣٧٣), (طبع دار الكتب العلمية , الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ) .

– و**أحمد بن علي تقي الدين المقريزي** (ت ٨٤٥ هـ) في رسائله (ص/ ٢١٠) (طبع دار الحديث، القاهرة , الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ) .

– و**يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي** (ت ٨٧٤ هـ) في المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٣٤١/٣ و ٣٥٥) , (تحقيق : د. محمد محمد أمين , الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

– و**عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي** (ت ٩٢٧ هـ) في الدارس في تاريخ المدارس (٢/ ٣٧٢) (تحقيق : جعفر الحسني , مكتبة الثقافة الدينية, ١٩٨٨م) .

– و**عبد الرحيم بن عبد الرحمن أبو الفتح العباسي** (ت ٩٦٣ هـ) في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١/ ٤٦) , (تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد , عالم الكتب – بيروت) .

– أما من سماها بذلك من العلماء المتأخرين فكثيرٌ جداً, منهم :

– العلامة اللغوي : **محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي** (ت ١٣٢٢هـ). كتب ذلك على نسخته الخطية من كتاب " الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ", ينظر (ص/ ٤٦٦) من المطبوع .

– الشيخ العلامة : **عبد الرحمن بن ناصر السعدي** (ت ١٣٧٦هـ) في تفسيره : تيسير الكريم الرحمن (ص/٣٩٦).

– العلامة المحقق : **عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني** (ت ١٣٨٢ هـ) حيث سمى كتابه : " التراتيب الإدارية, والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية, في المدينة المنورة العلية" .

– العلامة المفسر : **محمد الطاهر بن عاشور التونسي** (ت١٣٩٣هـ) في تفسيره : التحرير والتنوير (١٩/ ٢٨٢).

– الشيخ العلامة : **بكر بن عبد الله أبو زيد** (ت ١٤٢٩هـ). كما تقدم, والله أعلم .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد ظهر لي من خلال قراءاتي الكثيرة عن المدينة النبوية, أن هنالك جوانب مهمة لم يولها المؤلفون والباحثون العناية الكافية من الدرس والبحث والتمحيص, ومنها الخصائص (٢).

وقد منّ الله عليّ فاهتديتُ بالبحث والتتبع والنظر – بعد توفيق الله وفضله – إلى أكثر من مئة خَصِيصَة تختصّ بها المدينة النبوية وحدها, لا يشاركها فيها غيرها من الأمصار .

لذا رأيت كتابة هذا البحث في ذكر طائفةٍ من أهم خصائص المدينة النبوية المنورة مما ورد في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم, مقتصراً هنا على ذكر خمس عشرة خصيصة؛ لأن ذكرها كلها في هذا البحث من الصعوبة بمكان, حيث يُطلب في مثل هذه الأبحاث المحكّمة الإيجاز, وسوف أرجئ بقيّتها إلى أبحاثٍ أخرى لاحقةٍ إن شاء الله تعالى .

هذا وقد سميّتُ هذا البحثَ : " **الرياض المعطَّرة بذكر بعض خصائص المدينة المنوّرة** " , وذلك وفق **الخطة التالية** :

جعلتُ البحثَ في مقدمة, ثم ذكرت خمس عشرة خصيصة انفردتْ بها المدينةُ المنورةُ عن غيرها من الأمصار, ثم ذيلته بخاتمة تضمّنت أهم نتائج البحث, ثم فهرس الموضوعات، وإليك بيان ذلك:

أولاً : المقدمة : وتتضمن ما يلي :

١– منهجي في إعداد البحث, ويتلخص في الآتي :

– عزوت الآيات إلى أماكنها من المصحف الشريف .

---

(٢) الخصائص : جمع خصيصة، وقد وردت في كلام الجاحظ والزمخشري، وسمى ابنُ جني أحدَ كتبه "الخصائص".

وفي العصر الحديث أقرّ مجمعُ اللغة المصري اعتبار (خصائص) جمعًا لـ (خَصِيْصَة) بمعنى الصفة التي تميز الشيء وتحدده، وأدخلها في معجمه الوسيط. ينظر معجم الصواب اللغوي (١/ ٣٥١), للدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل , (الناشر: عالم الكتب، القاهرة , الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ) , ومعجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٦٥٢) د أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل (الناشر: عالم الكتب , الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ) , والمعجم الوسيط (١/ ٢٣٨) (إصدار مجمع اللغة العربية, مكتبة الشروق الدولية, الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ) .

تنبيه : وقع خلطٌ بين الفضائل والخصائص لدى بعض المؤلفين, كما في منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٣/ ١٨٦).

والصحيح أن الفضائل أعم من الخصائص, فكل خصيصة فضيلة, وليس كل فضيلة خصيصة, فليُتنبّه لذلك.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

– خرّجت جميع الأحاديث الواردة في البحث عند أول موضع تذكر فيه ، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما ذكرت ذلك واكتفيت به ، وقد أضيف إليهما بقية الكتب الستة لنكتة, وإن لم تكن فيهما أو في أحدهما فإنني أخرجها من بقية المصادر (٣) .

– إذا لم يكن الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، فإنني أجتهد في الحكم عليه, مستعيناً في ذلك بكلام المحققين من أهل العلم .

– قدّمت الكتب الستة على غيرها من كتب السنة حسب ترتيبها المعروف .

– أحلت عند العزو إلى المصادر الحديثية إلى رقم الحديث ؛ لأنه أضبط , ولأنه أبعد عن إثقال الحواشي .

– شرحت معاني الكلمات الغريبة, فتارةً أجعلها في صلب البحث, وتارةً في الحاشية حسب ما يقتضيه الحال .

– اكتفيت في التوثيق باسم المصدر دون اسم مؤلفه, إلا إذا كان المصدر غريبا ، أو يلتبس بغيره مما يوافقه في الاسم ؛ فإنني أذكر اسم مؤلفه .

– ذكرت أقوال العلماء وكلامهم على شرح الأحاديث النبوية الشريفة .

– ذكرت جميع المعلومات المتعلقة بالمصدر معه في الحاشية عند أول ذكرٍ له؛ وذلك حتى لا يطول البحث بذكر فهرسٍ مستقلٍ للمصادر والمراجع, وهو أحد مناهج التوثيق في البحث العلمي .

– قمت بضبط الكلمات المشكلة ، وشرح الغريبة منها ، والتعريف بالمصطلحات حيثما وردت ... موثقا ذلك كله من مصادر كل نوع .

---

(٣) قال ابن حمزة الحسيني : الواجب في الصناعة الحديثية أنه إذا كان الحديث في أحد الصحيحين لا يُعزى لغيره البتة إلا إذا اقتضى الحال، ولكل مقام مقال . البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف (٣٥/١) للحسيني , (تحقيق : سيف الدين الكاتب , نشر دار الكتاب العربي – بيروت) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

– عرّفت بالأماكن والأمصار – غير المشهورة – الواردة في البحث ، وفق كتب البلدان القديمة وكتب الجغرافيا المعاصرة .

– ترجمت لبعض الأعلام غير المشهورين عند أهل الاختصاص .

ثانياً : الخصائص, وهي كالتالي :

١ – أنها المدينة الوحيدة التي حثَّ النبيُّ ﷺ على سكناها والبقاء بها إلى حلول الأجل .

٢ – أنها المدينة الوحيدة التي يُكافأ المسلم إذا صبر على لأوائها وشدّتها بشهادة النبي ﷺ أو شفاعته يوم القيامة .

٣ – أنها تأكل القرى .

٤ – أنها أعظم البلاد بركةً, بل إن بركتها ضِعفيْ بركة مكة .

٥ – أنها أصحُّ البلاد على الإطلاق .

٦ – لا يدخلها الطاعون .

٧ – أنها تنفي خبثها وشرارها وتخرجهم منها .

٨ – لا يدخلها رُعْبُ المسيح الدجَّال .

٩ – أن الذي يفضح المسيحَ الدَّجالَ رجلٌ من أهل المدينة .

١٠ – الوعيدُ لمن أحْدَثَ فيها حَدَثاً أو آوى مُحْدِثاً بلعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين.

١١ – أنها المدينة الوحيدة التي فيها مسجدان فاضلان معظّمان, هما المسجد النبوي ومسجد قباء .

١٢ – أن الله يبدل من خرج من المدينة رغبةً عنها بمن هو خيرٌ منه .

١٣ – حصول الرجفات الثلاث التي يُخرج بها المنافقون والكفار منها .

١٤ – الوعيد لمن آذى أهلها بأن يذيبه الله كما يذوب الملح في الماء, أو الرصاص في النار .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١٥ – إسراع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى دخول المدينة عند رؤية معالمها من بعيد .

ثالثاً : الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث .

رابعاً : فهرس الموضوعات .

****

ثانياً : الخصائص :

١ – أنها المدينة الوحيدة التي حثَّ النبيُّ ﷺ على سكناها والبقاء بها إلى حلول الأجل :

وقد جاء في الحث على ذلك عدة أحاديث وآثار :

– منها ما أخرجه مسلم (٤) من حديث أَبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ، تُخْرِجُ الْخَبِيثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ " .

– وعن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " تُفْتَحُ الشَّامُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْعِرَاقُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"(٥).

---

(٤) في صحيحه رقم (١٣٨١) ١٦٠) (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي , دار إحياء التراث العربي – بيروت) .

(٥) صحيح مسلم رقم (١٣٨٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

– وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا " (٦) .

---

(٦) الحديث أخرجه أحمد في المسند رقم (٥٤٣٧) (تحقيق: مكتب التحقيق بمؤسسة الرسالة, بيروت, الطبعة الأولى, ١٤٢١هـ) . والترمذي في السنن رقم (٣٩١٧) ، (تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين , شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر , الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ) . وابن ماجه في السنن رقم (٣١١٢) ، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, المكتبة الإسلامية, استانبول) . وابن الأعرابي في معجمه رقم (٢٣٠٥) , (تحقيق وتخريج: عبد المحسن الحسيني , دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية , الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ) . وابن حبان في الصحيح رقم (٣٧٤١) كما في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي . تحقيق: شعيب الأرناؤوط , مؤسسة الرسالة، بيروت, الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ) . والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٤١٨٥) و (٤١٨٦) (تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد , مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند , الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ) . والبغوي في شرح السنة رقم (٢٠٢٠) ٢٩٥) , (تحقيق: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت . الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ) . من طرق عن أيوب السختياني , عن نافع , عن ابن عمر به.

قال الألباني : سنده صحيح على شرط الشيخين، وقد صححه الترمذي وابن حبان. سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦ / ١٠٣٤) (مكتبة المعارف, الرياض, ١٤١٥هـ). . وقال عنه في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٢٦) (مكتبة المعارف – الرياض , الطبعة الخامسة) : صحيح.

وللحديث شواهد : عن سبيعة الأسلمية عند الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ (٧٤٧) (تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي , مكتبة العلوم والحكم , الطبعة الثانية) .

قال البوصيري : " رجاله محتج بهم في الصحيح إلا عبد الله بن عكرمة روى عنه جماعة، ولم أر من تكلم فيه ". إتحاف الخيرة المهرة (٣ / ٢٥٣) . (تحقيق : دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم , دار الوطن للنشر، الرياض , الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ) .

وعن الصميتة عند النسائي في السنن الكبرى رقم (٤٢٨٥) ، (تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة, بيروت, الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ) . وابن حبان في الصحيح رقم (٣٧٤٢) ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ (٨٢٤) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

– وعن عمر ﷺ قال : " اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ ﷺ " (٧).

فهذه الأحاديث والآثار تدلّ على تفضيل سكنى المدينة على غيرها من البقاع, وفضل الموت بها.

فقوله ﷺ : (من استطاع) أي قدر (أن يموت بالمدينة) أي أن يقيم بها حتى يدركه الموت ثَمّةَ (فليمت بها) أي فليقم بها حتى يموت بها. فهو تحريض على لزوم الإقامة بها ليتأتّى له أن يموت فيها؛ إطلاقاً للمسبَّب على سببه.

قال الطيبي : " قوله: (فليمت بها) أمرٌ له بالموت بها، وليس ذلك من استطاعته بل هو إلى الله تعالى، لكنه أُمر بلزومها والإقامة بها بحيث لا يفارقها، فيكون ذلك سببًا لأن يموت فيها، فأطلق المسبب وأراد السبب، كقوله تعالي: {فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون}[سورة آل عمران: الآية ٩٧] (٨) .

وقال السخاوي : " ورد في الترغيب في سكناها والموت بها ما لم يثبت في الموت بغيرها مثله, والسكنى بها وصلة له إن شاء الله " (٩) .

وقال أبو الحسن المباركفوري : " الحديث قد استُدلّ به على أن السكنى بالمدينة والمجاورة بها أفضل منها بمكة؛ لأن الترغيب في الموت في المدينة لم يثبت مثله لغيرها, والسكنى بها وصلة إليه فيكون ترغيباً في سكناها, وتفضيلاً لها على غيرها.

وعن سلمان عند الطبراني في المعجم الكبير رقم (٦١٠٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٤١٨٠), لكنْ في سنده أبو الصباح عبد الغفور بن سعيد الأنصاري ضعيفٌ جداً , قال يحي بن معين: ليس حديثه بشيء. وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث. وقال البخاري: تركوه. وقال ابن عدي: ضعيف منكر الحديث. ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤١).

(٧) صحيح البخاري رقم (١٨٩٠). (شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا. الناشر: دار طوق النجاة . الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ) .

(٨) الكاشف عن حقائق السنن (٦/ ٢٠٦٣) (تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي , مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ). وانظر مرعاة المفاتيح (٩ / ٥٤٩) (إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند , الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ) .

(٩) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (١/ ٤٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولأنه صحّ : " لا يصبر على لأوائها وشدتها أحدٌ إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ", ولم يرد في سكنى مدينةٍ نحو ذلك. ولأنه اختار ﷺ ذلك ولم يكن يختار إلا الأفضل. ولأن الإقامة بالمدينة في حياته ﷺ أفضل إجماعاً, فيُستصحب ذلك بعد وفاته حتى يثبت إجماعٌ مثله يرفعه " (١٠) .

وهذا كلامٌ متينٌ كما ترى, إلا أنّ قوله : " وتفضيلاً لها على غيرها " فيه خلاف , فليس في الحديث ما يدل عليه, مع مخالفته لرأي أكثر العلماء في تفضيل مكة على المدينة. والله أعلم.

لكنّ سكنى المدينة مشروطٌ بحسن الأدب فيها , ومراعاة حرمة الحرم , وجلالة المكان, وصونه عن الإحداث فيه, أو تدنيسه بالمناكر. ولذا قال المناوي : " وأخذَ من الحديث حجةُ الإسلام ندبَ الإقامة بها مع رعاية حرمتها وحرمة ساكنيها " (١١) .

وقال النووي : " المختار أن المجاورة بهما (أي بالحرمين) جميعاً مستحبةٌ, إلا أن يغلب على ظنه الوقوع في المحذورات المذكورة وغيرها. وقد جاورتُهما خلائقُ لا يُحصون من سلف الأمة وخلفها ممن يقتدى به. وينبغي للمجاور الاحتراز من المحذورات وأسبابها " (١٢).

وقال الملا علي قاري – وهو يتحدث عن وجوب مراعاة حسن الأدب في المدينة – : " إن تضاعف السيئات وتعاظمها وإن فقد فيها، فمخالفة السلامة وقلة الأدب إلى الإخلال بواجب التوقير والإجلال قائم أيضا، وهو أيضا مانع إلا للأفراد ذوي الملكات، فإن مقامهم وموتهم فيها فيه السعادة الكاملة. في صحيح مسلم: " لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي ; إلا كنت له شفيعا يوم القيامة، أو شهيدا ". وأخرج الترمذي وغيره عن ابن عمر عنه – عليه الصلاة والسلام –: " من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإني أشفع لمن يموت بها ".

ولو أدرك الأولون ما انتهى إليه الآخرون – كما عليه أهل زماننا الغافلون – لحكموا بحرمة المجاورة في الحرمين الشريفين من شيوع الظلم، وكثرة الجهل، وقلة العلم، وظهور المنكرات، وفشوّ البدع والسيئات، وأكل الحرام والشبهات. وفي الحقيقة ليسوا بمجاورين، بل لهم مقاصد فاسدة صاروا بها مقيمين غير

---

(١٠) المصدر نفسه (٩ / ٥٤٩-٥٥٠) .

(١١) فيض القدير (٦ / ٥٣) (طبع دار الفكر, بيروت, بدون تاريخ) .

(١٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٩/ ١٥٢) , وانظر مرعاة المفاتيح (٩ / ٥٥٠) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مسافرين، من تجارة أو منصب أو جراية أو جامكية (١٣) أو صرّة أو شهرة، غالبهم يأكلونها، من غير استحقاق لحالتهم, ومن غير قيام بوظائف خدمتهم، ومن غير رعاية لشروط الأوقاف في مداخلاتهم، لكن هذه البلية حيث عمت البلاد, وطمت في البلاد, طابت حتى على الزهّاد والعبّاد. قال تعالى: {ظهر الفساد في البر والبحر} (١٤) , لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ". (١٥) .

٢ – أنها المدينة الوحيدة التي يُكافأ المسلم إذا صبر على لأوائها وشدّتها بشهادة النبي ﷺ أو شفاعته يوم القيامة :

وقد جاء في ذلك عدة أحاديث, منها :

– ما أخرجه مسلم (١٦) عن يحنس مولى الزبير (١٧) أنه كان جالساً عند عبد الله بن عمر في الفتنة، فأتته مولاة له تسلّم عليه، فقالت: إني أردت الخروج يا أبا عبد الرحمن، اشتدّ علينا الزمان، فقال لها عبد الله: اقعدي لَكَاع! فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " .

---

(١٣) الجامكية : هي مرتَّبُ خَدَم الدولة من العساكر و الموظفين. جمعها : جوامك. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي لمحمد أحمد دهمان ص ٥٦ . (دار الفكر المعاصر . بيروت . لبنان . دار الفكر . دمشق . سوريا , الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ). وانظر تكملة المعاجم العربية لرينهارت بيتر آن دُوزِي ٢/ ١٢٧ (وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية, الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠ م) .

(١٤) الروم: ٤١.

(١٥) مرقاة المفاتيح ٥ / ١٨٦٩ . (علي القاري . نشر دار الفكر، بيروت – لبنان , الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ). وانظر المصدر نفسه ٥ / ١٨٨٤ .

(١٦) في صحيحه برقم (١٣٧٧) .

(١٧) قال النووي : هو بضم المثناة تحت وفتح الحاء المهملة وكسر النون وفتحها وجهان مشهوران والسين مهملة, وفي الرواية الأخرى : " يحنس مولى مصعب بن الزبير " هو لأحدهما حقيقة وللآخر مجازا. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٩ / ١٥١ . (محي الدين النووي, تحقيق: خليل مأمون شيحا, ط٧, دار المعرفة, بيروت, ١٤٢١هـ) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

– وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال: " لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَاءِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ شَهِيدًا " أخرجه مسلم (١٨) .

– وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَدَعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَ اللهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا، أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " أخرجه مسلم (١٩) .

– وعن أبي سعيد مولى المهري، أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرة، فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له: وَيْحَكَ لَا آمُرُكَ بِذَلِكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا، فَيَمُوتَ، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا – أَوْ شَهِيدًا – يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا " أخرجه مسلم (٢٠) .

– وعن أفلح، مولى أبي أيوب الأنصاري، أنه مرّ بزيد بن ثابت، وأبي أيوب وهما قاعدان عند مسجد الجنائز، فقال أحدهما لصاحبه: تَذْكُرُ حَدِيثًا، حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، عَنِ الْمَدِينَةِ, سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُفْتَحُ فِيهِ فَتَحَاتُ الْأَرْضِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهَا رِجَالٌ يُصِيبُونَ رَخَاءً وعَيْشًا وَطَعَامًا فَيَمُرُّونَ عَلَى إِخْوَانٍ لَهُمْ حُجَّاجًا أَوْ عُمَّارًا فَيَقُولُونَ: مَا يُقِيمُكُمْ فِي لَأْوَاءِ الْعَيْشِ وَشِدَّةِ الْجُوعِ؟، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَذَاهِبٌ وَقَاعِدٌ – حَتَّى قَالَهَا مِرَارًا – وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ, لَا يُثْبِتُ بِهَا أَحَدٌ فَيَصْبِرُ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا، حَتَّى يَمُوتَ إِلَّا كُنْتُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا " أخرجه الطبراني (٢١) .

---

(١٨) في صحيحه برقم (١٣٧٨).

(١٩) في صحيحه برقم (١٣٦٣).

(٢٠) في صحيحه برقم (١٣٧٤).

(٢١) في المعجم الكبير ١٨٣/٤ رقم (٣٩٨٥).

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (ص/٢٤٥) (تحقيق : إبراهيم شمس الدين , دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الأولى ، ١٤١٧ هـ) وقال : رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد ورواته ثقات.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

– وعن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال: أَنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَجَعَلُوا يَجُرُّونَ النَّمِرَةَ عَلَى وَجْهِهِ فَتَنْكَشَفَ قَدَمَاهُ وَيَجُرُّونَهَا عَلَى قَدَمَيْهِ فَيَنْكَشِفُ وَجْهُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اجْعَلُوهَا عَلَى وَجْهِهِ، وَاجْعَلُوا عَلَى قَدَمَيْهِ مِنَ هَذَا الشَّجَرِ "، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ، فَإِذَا أَصْحَابُهُ يَبْكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَخْرُجُونَ إِلَى الْأَرْيَافِ فَيُصِيبُونَ بِهَا مَطْعَمًا وَمَلْبَسًا وَمَرْكَبًا – أَوْ قَالَ مَرَاكِبَ – فَيَكْتُبُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ: هَلُمَّ إِلَيْنَا فَإِنَّكُمْ بِأَرْضٍ مَجَازٍ (٢٢) جَدُوبَةٍ (٢٣)، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(٢٤).

وقال الهيثمي : رجاله ثقات . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٣ / ٣٠٠ رقم (٥٧٨٧) (دار الفكر، بيروت – ١٤١٢هـ).

وقال الألباني : حسن صحيح . صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٢٥).

وضعّفه الرفاعي في كتابه : الأحاديث الواردة في فضائل المدينة (ص/١٩٩) وأعلّه بعاصم بن عبد العزيز الأشجعي, لكنه حسّنه بشواهده.

(٢٢) كذا في المصدر! والذي يظهر من السياق أنها : حجاز, وكذلك هي في مسند الشاشي (٣/ ٣٩٨) رقم (١٥٢٠) إلا أنها بأل التعريف.
والمراد بالحجاز هنا : الحِرار, وهي التي تشتهر بها المدينة. قال الأصمعي: إذا عرضتْ لك الحرار بنجد فذلك الحجاز, وأنشد: (وفرّوا بالحجاز ليعجزوني) أراد بالحجاز : الحرار. ويقال للجبال أيضا : حجاز، ومنه قوله: (ونحن أناس لا حجاز بأرضنا....
ينظر تهذيب اللغة (٤ / ٧٦) , للأزهري (تحقيق : محمد عوض مرعب . دار إحياء التراث العربي – بيروت .الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م) , مشارق الأنوار (١ / ٢٢١) للقاضي عياض (المكتبة العتيقة , تونس , دار التراث , القاهرة) , لسان العرب (٥ / ٣٣١) لابن منظور (دار صادر – بيروت , الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ) , تاج العروس (١٥ / ٩٥) للزَّبيدي (تحقيق: مجموعة من المحققين , الناشر: دار الهداية) .
(٢٣) الجَدوبة : هي الأرض القاحلة التي لا تنبت شيئاً . يقال : جدب البلد يجدب جدوبة وجدبا وأجدب: إذا لم ينبت شيئا . وجاءت هذه الكلمة في الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٥) (طبعة دار صادر) : جَرَدِيَّةٍ. وهي بنفس المعنى. ينظر المخصص (٤ / ٣٤٢) لابن سيده (تحقيق : خليل إبراهم جفال , دار إحياء التراث العربي – بيروت , الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ) , أساس البلاغة (١ / ١٢٤) للزمخشري (تحقيق: محمد باسل عيون السود , دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان , الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ) , لسان العرب (١ / ٢٥٦) , القاموس المحيط (ص: ٦٦) للفيروز آبادي (تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة , بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ,: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان , الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ) , شمس العلوم (٢ / ١٠٢١) لنشوان

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فهذه الأحاديث فيها حثٌّ على الصبر على لأْواء المدينة وشدتها, واحتساب الأجر من الله تعالى في ذلك (٢٥) .

قال الملا علي قاري : " فيه تنبيه أنه ينبغي للمؤمن أن يكون صابراً، بل شاكراً على إقامته في الحرمين الشريفين، ولا ينظر إلى ما في عداها من النعم الصُّورية ; لأن العبرة بالنعم الحقيقية الأخروية لحديث : " اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة " (٢٦) . ولحديث: " من صبر على حَرّ مكة ساعةً تباعد من نار جهنم مائتي سنة " (٢٧) ولقد أحسن من قال :

الحميرى (تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري وزميلاه, دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية), الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ) .

(٢٤) أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٦٥) رقم (٥٨٧). وفي (٣/ ١٤٤) رقم (٢٩٤٠).

وأخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٥/٣) , والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٣٣٥) , والشاشي في المسند (٣/ ٣٩٨) رقم (١٥٢٠).

قال الهيثمي : رواه الطبراني، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦ / ١١٩ رقم (١٠١٠٥).

وليس كما قال؛ فإن في سنده يزيد بن زيد المدني مجهول الحال, فالحديث بهذا الإسناد ضعيف, لكن يشهد له ما قبله, فيرتقي لمرتبة الحسن لغيره, والله أعلم.

(٢٥) ينظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٩ / ١٥١.

(٢٦) أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٢٩٦١) , ومسلم في الصحيح برقم (١٨٠٤) كلاهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٢٧) هذا حديث باطلٌ؛ أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٢/ ٢٨٣) (تحقيق : د. عبد الملك عبد الله دهيش , دار خضر – بيروت , الطبعة : الثانية ، ١٤١٤هـ) قال : حدثنا عبد الله بن منصور، عن عبد الرحيم بن زيد العمي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: " من صبر على حَرّ مكة ساعةً من نهارٍ تباعدت عنه النار ".

وحدثنا أحمد بن صالح قال: ثنا أحمد بن الجراح قال: ثنا عبد الرحيم بن زيد العمي، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه، إلا أنه قال: " تباعدت منه جهنم مائة عام، وتقربت منه الجنة مسيرة مائة عام " .

في سنده عبد الرحيم بن زيد العمي, قال ابن حجر : متروك كذبه ابن معين . تقريب التهذيب (ص: ٣٥٤) لابن حجر العسقلاني, (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا, دار الكتب العلمية بيروت – لبنان) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إذا لم تطب في طيبة عند طيّب تطيب به الدنيا فأين تطيب ؟!

وقد قال عز وعلا: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ} [العنكبوت: ٦٧], وقال عز وجل: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش: ٣-٤] , وأصل الحياة الطيبة في وصول الرزق وحصول الأمن الذي به كمال الرفق (٢٨) .

وهذه الأحاديث تقتضي أن فضل استيطان المدينة والبقاء بها باق بعد النبي ﷺ وأنه مستمر إلى يوم القيامة, كما أن فيه إشارة إلى البشارة بحسن الخاتمة (٢٩) .

بل استدلّ بها بعض العلماء على تفضيل السكنى بالمدينة على السكنى بمكة.

قال السندي : السكنى بالمدينة أفضل؛ لما ثبت من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: " لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة، أو شهيدا يوم القيامة " , ولم يرد

وأخرجه العقيلي في الضعفاء (١/ ٢٢٦) (تحقيق : د. مازن السرساوي, دار ابن عباس – مصر , الطبعة الثانية، ٢٠٠٨ م) بلفظ : " من صبر في حر مكة ساعة باعد الله جهنم منه سبعين خريفا " . وقال : هذا حديث باطل لا أصل له .

وقال الزيلعي : غريبٌ . تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٠١) (تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد , دار ابن خزيمة – الرياض . الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ) .

وقال السخاوي : ذكره أبو الوليد الأزرقي في تاريخ مكة بغير إسناد، ثم الزمخشري في آل عمران من تفسيره، وقد أخرجه العقيلي في ترجمة الحسن بن رشيد من الضعفاء، من طريق الحسن المذكور عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رفعه .... وقال: هذا باطل، لا أصل له، وابن رشيد يحدث بالمناكير. المقاصد الحسنة (ص: ٦٥٢) (تحقيق : عبدالله محمد الصديق , دار الكتب العلمية , بيروت , الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ) . وانظر كشف الخفاء (٢/ ٣٠٥) للعجلوني, (نشر مكتبة القدسي ، القاهرة , ١٣٥١هـ) , واللؤلؤ المرصوع (ص: ١٨٤) للقاوقجي (تحقيق : فواز أحمد زمرلي , دار البشائر الإسلامية – بيروت , الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ) .

(٢٨) مرقاة المفاتيح (٥ / ١٨٧٣).

(٢٩) ينظر المنتقى شرح الموطأ (٧ / ١٨٩) للباجي , (نشر مطبعة السعادة , مصر , الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ) , مرقاة المفاتيح (٥ / ١٨٧٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بسكنى مكة شيء من ذلك، بل كرهها جماعة من العلماء وثبت أنه ﷺ قال : "من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها " (٣٠) .

وقد اختلف العلماء في المراد بالشدة واللأواء الواردة في هذا الحديث :

فقال عيسى بن دينار (٣١) : اللأواء هو الجوع وتعذّر التكسّب. والشدة يُحتمل أن يريد بها اللأواء، ويُحتمل أن يريد بها كلَّ ما يشتدّ به سكناها، وتعظم مضرّته (٣٢) .

---

(٣٠) كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه (٢ / ٢٦٦) , (نشر : دار الجيل – بيروت) .

تنبيه : قال الدميري: أما ما روي من حديث: " اللهم إنك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد إلي فأسكني في أحب البلاد إليك ". فقال ابن عبد البر: لا يختلف أهل العلم في نكارته ووضعه ونسبوا وضعه إلى محمد بن الحسن بن زبالة وتركوه لأجله، وقال ابن دحية في " تنويره " : إنه حديث باطل بإجماع أهل العلم. وقال ابن مهدي : سألت عنه مالكا فقال : لا يحل أن تنسب الباطل إلى رسول الله ﷺ وقد بين علته أبو بكر البزار في " علله " والحافظ وغيرهما. ينظر كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه (٢ / ٢٦٦) , مرعاة المفاتيح (٩ / ٤٩١) وكلام ابن عبد البر في الاستذكار (٨/ ٢٢٢).

(٣١) عيسى بن دينار بن واقد الغافقي, أصله من طليطلة وسكن قرطبة, يكنى أبا عبد الله.
رحل فسمع من ابن القاسم وصحبه وعوّل عليه, وانصرف إلى الأندلس فكانت الفتيا تدور عليه لا يتقدمه في وقته أحد.
قال يحي بن مالك بن عائذ : سمعت محمد بن عبد الملك بن أيمن يقول : كان عيسى بن دينار عالما متفننا مفتّقا, وهو الذي علم المسائل أهل مصرنا وفتقها, وكان أفقه من يحي بن يحي على جلالة قدر يحي بن يحي وعظمه .
وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : فقيه الأندلس عيسى بن دينار , وعالمها عبد الملك بن حبيب, وعاقلها يحي بن يحي .
اتهم عيسى هذا يوم (الهيج) فهرب فاستخفى, وأمّنه الحكم بن هشام فرجع . وكان عيسى عابداً فاضلاً ورعاً كانوا يرون أنه مجاب الدعوة .
توفي عيسى بن دينار سنة اثنتي عشرة ومائتين بطليطلة وقبره هنالك . ينظر تاريخ علماء الأندلس (١/ ٣٧٣) لابن الفرضي, (تحقيق: إبراهيم الأبياري, دار الكتاب المصري واللبناني, القاهرة وبيروت, ط٢ , ١٤١٠هـ) , والمقتبس من أنباء الأندلس (ص: ٢١٩) لابن حيان القرطبي, (تحقيق : الدكتور محمود علي مكي , المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة ١٣٩٠هـ) , وبغية الملتمس (ص: ٤٠٢) للضبي, (تحقيق: إبراهيم الأبياري, دار الكتاب المصري واللبناني, القاهرة وبيروت, ط١ (١٤١٠هـ) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقال ابن عبد البر : " الشدة : الجوع. واللأواء : تعذّر المكسب وسوء الحال " (٣٣) .

وقيل : هو ما يجد فيها من شدة الحرّ وكربة الغربة وأذيّة من فيها من أهل البدعة لأهل السنة(٣٤).

وضمير شدّتها يحتمل أن يعود على اللأواء، ويحتمل أن يعود على المدينة (٣٥) .

تنبيه : قال الأُبّي: " الحديث خرج مخرج الحث على سكناها. فمن لزم سكناها ولم يلحقه لأواء داخل في ذلك؛ لأن التعليل بالغالب والمظنة لا يضر فيه التخلف في بعض الصور, كتعليل القصر بمشقة السفر، فإن الملك يقصر ولو لم تلحقه مشقة لوجود السفر"(٣٦) .

كما اختلفوا في (أو) في قوله ﷺ : " إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة " هل هي للشك أو غيره ؟

قال القاضي عياض : سئلنا قديماً عن معنى هذا ولم خَصّص – عليه السلام – ساكنَ المدينة بهذا من شفاعته ، ومع ما يثبت من ادخاره إياها لجميع أمته ، وهل (أو) هنا للشك أو لغيره ؟

ولنا على هذا جواب شاف مقنع في أوراق اعترف بصوابه كل من وقف عليه ، نذكر منه هنا لُمَعاً تليق بالموضع : والأظهر أن (أو) هنا ليست للشك ، خلاف من ذهب من شيوخنا إلى ذلك ؛ إذ قد روى هذا الحديث جابر ، وأبو هريرة ، وابن عمرو ، وأبو سعيد ، وسعد بن أبي وقاص ، وأسماء بنت

---

(٣٢) المنتقى شرح الموطأ (٧ / ١٨٩) , شرح الزرقاني على الموطأ (٤ / ٣٤٧) (تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد , مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة , الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ) .

(٣٣) التمهيد (٢١ / ٢٣) لابن عبد البر, (تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري , نشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب , ١٣٨٧ هـ) .

(٣٤) ينظر مرقاة المفاتيح (٥ / ١٨٧٣) , مرعاة المفاتيح (٩ / ٥١٤).

(٣٥) شرح الزرقاني على الموطأ (٤ / ٣٤٧).

(٣٦) إكمال إكمال المعلم (٤٥٩/٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عميس ، وصفية بنت أبي عبيد ، عن النبي ﷺ بهذا اللفظ ، وبعيدٌ اتفاقُ جميعهم أو رواتهم على الشك, ووقوعه من جميعهم وتطابقهم فيه على صيغة واحدة ، بل الأظهر أنه كذا قاله النبي – عليه السلام – فإما أن يكون أعلم – عليه السلام – بهذه الجملة هكذا, أو تكون (أو) للتقسيم ، ويكون أهل المدينة صنفين ؛ شهيداً لبعضهم ، وشفيعاً لآخرين ، إما شفيعاً للعاصين وشهيداً للمطيعين ، أو شهيداً لمن مات في حياته وشفيعاً لمن مات بعده ، أو غير ذلك مما الله أعلم به ، وهذه خاصية زائدة على الشفاعة للمذنبين أو للعاصين في القيامة ، وعلى شهادته على جميع الأمة، وقد قال – عليه السلام – في شهداء أُحد : " أنا شهيد على هؤلاء " (٣٧) فيكون لتخصيصهم بهذا كله زيادة منزلة وغبطة وحظوة .

وقد تكون (أو) هنا هي التي بمعنى الواو ، فيكون لأهل المدينة شهيداً وشفيعاً، وقد روي : " إلا كنت له شهيداً أو له شفيعاً " ، وإذا جعلناها للشك – كما ذهب إليه المشايخ – فإن كانت اللفظة الصحيحة الشهادة اندفع الاعتراض ؛ إذ هي زائدة على الشفاعة المدخرة المجردة لغيرهم ، وإن كانت اللفظة الصحيحة الشفاعة فاختصاص أهل المدينة بهذا ، مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع أمته ، أن هذه شفاعة أخرى غير العامة التي هي لإخراج أمته من النار ، ومعافاة بعضهم منها بشفاعته في القيامة ، وتكون هذه الشفاعة لأهل المدينة بزيادة الدرجات ، أو تخفيف الحساب ، أو ما شاء الله من ذلك ، أو بإكرامهم يوم القيامة بأنواع من الكرامة والمبرّة ؛ من إيوائهم في ظل عرش الرحمن ، أو كونهم في روح وعلى منابر ، أو الإسراع بهم إلى الجنة ، أو غير ذلك من خصوص المبرّات الواردة لبعض دون بعض في الآخرة – والله أعلم (٣٨) .

٣ – أنها تأكل القرى :

---

(٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٢٨٢).

(٣٨) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (٤/ ٤٨٣) للقاضي عياض (تحقيق: د. يحي إسماعيل, دار الوفاء , المنصورة, الطبعة الأولى, ١٤١٩هـ) .

وانظر المنتقى شرح الموطأ (٧ / ١٨٩) , شرح الزرقاني على الموطأ (٤ / ٣٤٧) , مرقاة المفاتيح (٥ / ١٨٧٣) , مرعاة المفاتيح (٩ / ٥١٤) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فقد أخرج البخاري (٣٩) ومسلم (٤٠) عن سعيد بن يسار، قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله ﷺ : " أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى، يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ المَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ " .

فقوله : (أمرت بقريةٍ) أي أمرت بالهجرة إليها والنزول فيها وسكناها (٤١) .

وقوله : (تأكل القرى) ورد في معنى ذلك للعلماء أربعة أقوال:

الأول : أنها تَفتح المدن, فيَغلبُ أهلُها أهلَ سائر البلاد من المشركين والكافرين, ويأكلون أموالهم، ويسبون ذراريهم، ويقتلون مقاتلتهم. وهذا كناية عَن الْغَلَبَة؛ لأَن الْآكِل غَالبٌ على المأْكُول, وهذا من فصيح كلام العرب تقول: أكلْنا بني فلان، وأكلْنا بلد كذا: إذا ظهروا على أهله وغلبوهم, وهو من الاتساع والاختصار في الكلام, كقوله تعالى: (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) [يوسف: ٨٢] أي أهلَ القرية.

الثاني : أنّ القرى تَفرُغُ بوجوب الهجرة إليها، فكأنها أكلتْها .

الثالث : أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتتحة وإليها تساق غنائمها .

الرابع : ما قاله ابن المنذر: يحتمل أن يكون المراد بأكلها القرى غلبةُ فضلها على فضل غيرها؛ فمعناه أن الفضائل تضمحل في جنب عظيم فضلها حتى تكاد تكون عدماً، وهذا أبلغ من تسمية مكة " أم القرى "؛ لأن الأمومة لا تنمحي معها ما هي له أمٌّ، لكن يكون لها حق الأمومة، انتهى.

وجزم القاضي عبد الوهاب بهذا الاحتمال, وقال : لا معنى لقوله: "تأكل القرى" إلا رجوع فضلها عليها وزيادتها على غيرها (٤٢).

---

(٣٩) في صحيحه برقم (١٨٧١) .

(٤٠) في صحيحه برقم (١٣٨٢) .

(٤١) ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٥٤٢) , (تحقيق: ياسر بن إبراهيم ,دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض , الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ) .

(٤٢) انظر هذه الأقوال في الاستذكار (٨/ ٢٢٦) لابن عبد البر (تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض , دار الكتب العلمية – بيروت , الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ) , شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٥٤٣) , كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٤٠٤) لابن الجوزي (تحقيق : علي حسين البواب , الناشر: دار الوطن –

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهذه المعاني كلها صحيحة ومتقاربة, والله أعلم.

٤ – أنها أعظم البلاد بركةً, بل إن بركتها ضِعفيْ بركة مكة :

جاء ذلك في أحاديث عدّة, منها :

حديث أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ البَرَكَةِ ". أخرجه البخاري (٤٣) ومسلم (٤٤) .

– وحديث عبد الله بن زيد بن عاصم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لِأَهْلِهَا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا بِمِثْلَيْ (٤٥) مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ"(٤٦).

– وحديث عائشة رضي الله عنها الطويل قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ, وَصَحِّحْهَا, وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ " (٤٧) . وسيأتي بطوله .

– وعن أبي عبد الله القراظ، أنه سمع سعد بن مالك، وأبا هريرة يقولان: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهُمَّ بَارِكْ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي مَدِينَتِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ، اللهُمَّ

الرياض) , المنهاج شرح صحيح مسلم (٩/ ١٥٤) , هدي الساري (١/ ٨٠) لابن حجر (دار الفكر, بيروت) , التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢/ ٥١٧) , نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٣٩١) ٦٣٢) للبقاعي , (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة) , عمدة القاري (١٠/ ٢٣٤) للعيني (دار إحياء التراث العربي – بيروت) , وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (١/ ٣٨) (دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ).

(٤٣) في صحيحه برقم (١٨٨٥).

(٤٤) في صحيحه برقم (١٣٦٩).

(٤٥) جاء في بعض روايات الحديث في الصحيحين وغيرهما : (مثل) بدل (مثلي) لكن يشهد للثانية الحديثُ الأولُ حديثُ أنس, كما يشهد لها ما جاء في حديث سعد بن مالك، وأبي هريرة الآتي : " وَإِنِّي أَسْأَلُكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ كَمَا سَأَلَكَ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ " وهو حديث صحيح. وانظر الأحاديث الواردة في فضائل المدينة (ص/٤٧-٤٨).

(٤٦) أخرجه مسلم في الصحيح برقم (١٣٦٠) .

(٤٧) أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٣٩٢٦) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ سَأَلَكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ كَمَا سَأَلَكَ إِبْرَاهِيمُ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، إِنَّ الْمَدِينَةَ مُشَبَّكَةٌ بِالْمَلائِكَةِ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهَا، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلا الدَّجَّالُ، مَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ" (٤٨).

ومن مظاهر بركتها ما قاله ابن الفقيه : " يكتفي بالمدينة الرجلُ الأكولُ بقُرصين، ولا يكتفي في غيرها بخمسةِ أرغفةٍ، وليس ذلك لغلظٍ فيه أو فسادٍ في حَبّه وطَحْنه، ولو كان كذلك لظهر في التُخم" (٤٩).

قلتُ : ما قاله صحيحٌ, وهو مجرّب؛ فإنني قد أمضيتُ فيها – ولله الحمد والمنة – أكثر من ربع قرنٍ من الزمان, ولمستُ هذه البركة في كل شيءٍ, حتى في الوقت والقراءة والتأليف, بل وسألت بعض أهل العلم الوافدين إليها عن ذلك فكان شعوره كشعوري, وزاد فقال: المدينةُ جَنّةٌ !

٥ – أنها أصحُّ البلاد على الإطلاق :

قَدِمَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينةَ وهي أوبأ أرض الله, فجاءه جبريل عليه السلام حينذاك وخيّره بين أمرين يحصل لمن أصابه واحدٌ منهما الثوابُ العظيم؛ وهما الحمى والطاعون، فاختار النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحمّى وأبقاها في المدينة, وأرسل الطاعون إلى الشام –كما في حديث أبي عَسِيبٍ الآتي – .

فإذا شاء اللهُ موتَ أحد أصحابه، حصلت له الشهادةُ بالقتل في سبيل الله الذي هو أعلى درجةً من الموت بالطاعون، ومن فاته ذلك منهم، مات بالحمّى التي هي حظّ المؤمن من النار, وكلُّ يومٍ منها يكفّر سنةً.

والسبب في إمساكه صلى الله عليه وسلم الحمّى بالمدينة، أن أمرها أخفّ من أمر الطاعون؛ لسرعة الموت به غالباً.

---

(٤٨) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٥١) رقم (١٥٩٣) بإسناد صحيح .

(٤٩) البلدان لابن الفقيه (ص/٨١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فلما أُذن للنبي صلى الله عليه وسلم في القتال، كانت قضية استمرار الحمّى في المدينة تُضعف الأجسادَ التي تحتاج إلى القوة في الجهاد، لا سيما وقد كان صلى الله عليه وسلم في قلةٍ من أصحابه عَدَداً ومَدَداً, فدعا حينئذٍ بنقل الحمّى إلى الجحفة – كما في حديث عائشة رضي الله عنها الآتي – فأُجيب دعاؤه, وصارت المدينةُ أصحَّ بلاد الله تعالى (٥٠) .

وإنما دعا صلى الله عليه وسلم أن تُنقل حمّاها إلى الجحفة؛ لأنها كانت إذ ذاك دار شركٍ, وقيل : كان يسكنها اليهود, فخشي النبي صلى الله عليه وسلم أن يعينوا أعداءه عليه؛ فلذا دعا بنقل الحمّى إليهم (٥١) .

وقد استجاب الله دعاءه، فانتقلت الحمى إليها, حتى إن مَن شرب من مائها حُمّ, بل لو مرّ الطير في هوائها حُمّ (٥٢) .

أما حديث أبي عَسِيبٍ – مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقد أخرجه أحمد (٥٣) بسنده عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَانِي جِبْرِيلُ بِالْحُمَّى، وَالطَّاعُونِ، فَأَمْسَكْتُ الْحُمَّى بِالْمَدِينَةِ، وَأَرْسَلْتُ الطَّاعُونَ إِلَى الشَّامِ، فَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي، وَرَحْمَةٌ، وَرِجْسٌ عَلَى الْكَافِرِ " .

وأما حديث عائشة رضي الله عنها فقد أخرجه البخاري (٥٤) بسنده عنها قالت : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدِينَةَ، وُعِكَ (٥٥) أَبُو بَكْرٍ، وَبِلاَلٌ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلاَلُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتْ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى يَقُولُ:

---

(٥٠) ينظر ما تقدم في فتح الباري (١٠/ ١٩١) لابن حجر, (تحقيق: محب الدين الخطيب, المكتبة السلفية, ط٣ , ١٤٠٧هـ) , وبذل الماعون في فضل الطاعون (ص:٢٠٧) لابن حجر, (تحقيق : أحمد عصام الكاتب, دار العاصمة , الرياض , النشرة الأولى , ١٤١١هـ) , وعمدة القاري (٢١/ ٢٦٠) , ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٥٣٨).

(٥١) ينظر كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٣٤٧) , إرشاد الساري (٣/ ٣٤٣) .

(٥٢) ينظر كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٣٤٧) , إرشاد الساري (٣/ ٣٤٣) للقسطلاني , (نشر دار الفكر , بيروت , الطبعة الأولى , ١٤١٠هـ) , مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ١٨٧٨) .

(٥٣) في المسند (٣٤/ ٣٦٦) رقم (٢٠٧٦٧) بإسناد صحيح .

(٥٤) في الصحيح برقم (٣٩٢٦) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلاَلٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ الحُمَّى (٥٦) يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ (٥٧) وَيَقُولُ:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ(٥٨)

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ(٥٩)

---

(٥٥) الوَعْكُ: مَغْثُ المرض. وقد وعكته الحمى فهو موعوك, كأنها تعرك الجسم عركا . وأوعكت الكلاب الصيد، إذا مرّغته في التراب . ينظر العين (٢/ ١٨٠) للفراهيدي (تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي , الناشر: دار ومكتبة الهلال) , الصحاح (٤/ ١٦١٥) للجوهري (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار , الناشر: دار العلم للملايين – بيروت , الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ) مجمل اللغة (ص: ٩٣٠) لابن فارس (تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان , مؤسسة الرسالة – بيروت , الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ) , مقاييس اللغة (٦/ ١٢٣) لابن فارس, (تحقيق: عبدالسلام هارون, مطبعة مصطفى البابي الحلبي, مصر, الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ) .

(٥٦) أَي رُفعتْ عنه الحمى . كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٣٤٦) .

(٥٧) يرفع عقيرته. قال ابن قتيبة : يقول الناس لمن رفع صوته: قد رفع عقيرته. وأصل هذا أَن رجلا قُطعت إِحْدى رجلَيْه، فَرَفع المعقورة ووضعها على الْأُخْرَى وصرخ بِأَعْلَى صَوته يبكي عليها، فَقيل لكل رَافع صَوته: قد رفع عقيرته . ينظر غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٣٧٤) (تحقيق : د. عبد الله الجبوري , مطبعة العاني – بغداد , الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ) . جمهرة اللغة (٢/ ٧٦٨) لابن دريد , (تحقيق : رمزي منير بعلبكي , دار العلم للملايين – بيروت , الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م) , الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٥٣) للأنباري , (تحقيق: د. حاتم صالح الضامن , مؤسسة الرسالة – بيروت , الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ) .

(٥٨) الإذخر والجليل : نبتتان . ويُقَال إن الجليل : هو الثمام. وَهُوَ نبت ضَعِيف يحشى بِهِ خصاص الْبَيْت. ينظر هدي الساري ٩٩/١ , عمدة القاري (١٠/ ٢٥٠) .

(٥٩) مَجنّة: سوق كانت بِقرب مكّة يتّجرون فيها.

وشامة وطفيل: قيل : هما جبلان . وقيل : بل هما عينان، وليسا بجبلين . قال الخطابي: كنت أحسب أنهما جبلان حتى أُنبئت أنهما عينان .

وقال البلادي عن طفيل : إنه حرة بتهامة جنوب غربي مكة مشرفة على الساحل بين وادي السعدية –أسفل يلملم– ووادي الأبيار – أسفل البيضاء– عند مفيضهما في الخبت , وكل زراعتها عَثَرية؛ إذ ليس بها ماء، وأهلها الجحادلة: فرع من بني شعبة من كنانة .

وقال عن شامة : إنه جبل جنوب غربي مكة على قرابة ثمانين كيلاً، أو أكثر قليلاً، قرب الطريق الجديدة اليوم. وكان درب اليمن يخرج من مكة على ملكان ثم البيضاء، ثم إدام ثم محرم يلملم (السعدية) وكانت طفيل بعيدة عنه إلى الغرب، غير أنه عند تعبيده أخذ على قرب الساحل لسهولة الأرض هناك, فمرّ بالقرب من طفيل يجعلها يمين المتيامن على مرأى من الطريق.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ, وَصَحِّحْهَا, وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ (٦٠) " .

وفي روايةٍ قَالَ بلال : اللَّهُمَّ العَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الوَبَاءِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ " ، قَالَتْ: وَقَدِمْنَا المدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ اللَّهِ (٦١)، قَالَتْ: فَكَانَ بُطْحَانُ يَجْرِي نَجْلًا تَعْنِي مَاءً آجِنًا (٦٢) .

وفي روايةِ محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة نحوه, وزاد قال هشام : وكان وباؤها معروفاً في الجاهلية, وكان الإنسان إذا دخلها وأراد أن يَسْلَمَ من وبائها قيل له: انهق . فينهق كما ينهق الحمار ! وفي ذلك يقول الشاعر :

لعمري لئن غنّيتُ من خيفة الرَّدى نهيقَ حمارٍ إنني لمروَّعُ " (٦٣)

وقيل: إن هذين البيتين اللذين أنشدهما بلال، رضي الله تعالى عنه، ليسا له، بل هما لبكر بن غالب بن عامر بن الحارث بن مضاض الجرهمي، أنشدهما عندما نفتهم خزاعة من مكة، شرفها الله، وقيل لغيره . ينظر معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٣/ ٨٩٢) للبكري , (عالم الكتب، بيروت , الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ) , معجم البلدان (٤/ ٣٧) لياقوت الحموي , (دار صادر، بيروت , الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م) , كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٣٤٦) , عمدة القاري (١٠/ ٢٥٠) , إرشاد الساري (٦/ ٢٢٩) , معالم مكة التأريخية والأثرية (ص/٤٧) و (ص/ ١٦٧) .

(٦٠) الجحفة : قرية صغيرة تقع شرق رابغ إلى الجنوب بمسافة (٢٦) كيلاً، سمّيت الجحفة لأن السيول اجتحفتها. وهي ميقات من جاء عن طريق البحر من مصر والشام، وقد اندثرت الجُحْفة قبل ما يقرب من سبعة قرون . ينظر معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٢/ ٣٦٨) , معجم البلدان (٢/ ١١١) , معالم مكة التأريخية والأثرية (ص: ١٦١) لعاتق البلادي , (طبع دار مكة للنشر والتوزيع , الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ) , معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٧٩) له أيضاً , (طبع دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة , الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ).

(٦١) قال ابن حجر : قولها : "أوبأ" أفعل تفضيل من الوباء, وهو يُمدّ ويُقصر. قال أهل اللغة : هو المرض العام, يُقال : أوبأت الأرض فهي وبيئة, ووبئت فهي وبيئة, ووُبئت فهي موبوءة. وأرادت عائشة رضي الله عنها في وصف المدينة بالوباء كثرة ما كان بها من الحمى . بذل الماعون (ص:١٠٣) .

(٦٢) صحيح البخاري رقم (١٨٨٩) . وانظر فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٨١) .

(٦٣) فتح الباري (٧/ ٢٦٢) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٦ – لا يدخلها الطاعون (٦٤) :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عَلَى أَنْقَابِ المدِينَةِ مَلاَئِكَةٌ لاَ يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلاَ الدَّجَّالُ " أخرجه البخاري (٦٥) ومسلم (٦٦) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " المدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَّالُ، فَيَجِدُ الملاَئِكَةَ يَحْرُسُونَهَا، فَلاَ يَقْرَبُهَا الدَّجَّالُ " قَالَ : " وَلاَ الطَّاعُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ"(٦٧) .

وهذا من خصائص المدينة التي لم يشاركها فيها غيرُها من البلدان .

---

(٦٤) **الطاعون** : مرض بكتيري معدي حادّ، وهو من الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان ويصنَّف كأحد الأمراض المحجرية الخطيرة التي تسبب أوبئة في حالة عدم السيطرة عليها.
ومرض الطاعون على ثلاثة أنواع تختلف طرق انتقالها وانتشارها من نوع إلى آخر وهي:
١ – الطاعون الدملي :
وهو أكثر الأنواع حدوثا، يسري المرض بين القوارض كالفئران والجرذان التي تعتبر المستودع الطبيعي لهذا المرض، حيث ينتقل فيما بينها بواسطة البراغيث التي تسبب لها الوفاة، وعند حدوث الأوبئة تنتقل هذه البراغيث من أجسام القوارض الميتة وتهاجم جسم الإنسان لتتغذّى على دمه، وتصبح معدية لعدة أشهر لاحقة.
٢ – الطاعون الرئوي :
أكثر أنواع الطاعون خطورة؛ لسهولة انتقاله وانتشاره بين المخالطين للمريض, خاصة في الظروف المناخية والبيئة غير الصحية، ينتقل عن طريق فضلات الشخص المريض إلى الشخص السليم.
الأعراض الأولية هي الصداع، الضعف، السعال مع الدم, أو تقيّؤ الدم. ولا يمكن تمييز هذه العوارض من عدة أمراض أخرى في الجهاز التنفّسي. دون التشخيص والعلاج يمكن أن تكون العدوى قاتلة في غضون يوم إلى ستة أيام. والوفيات في الحالات التي لا تعالج هي تقريباً ١٠٠٪.
٣ – الطاعون التسمّمي :
يشبه هذا النوع الطاعون الدملي في طرق انتقاله، حيث ينتقل المرض بواسطة البراغيث من القوارض إلى الإنسان.
المصدر : الموسوعة العربية العالمية (٤٨٣/١٥) : لجماعة من الباحثين , (مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع , الرياض , الطبعة الثانية , ١٤١٩هـ) , الموسوعة العربية الميسرة (١١٤٦/٢) لجماعة من الباحثين (تصوير دار إحياء التراث العربي) , ويكيبيديا (الموسوعة الحرة) مادة (طاعون) .
(٦٥) في صحيحه (٣/ ٢٢) رقم (١٨٨٠) .
(٦٦) في صحيحه (٢/ ١٠٠٥) رقم (١٣٧٩) .
(٦٧) في صحيحه (٩/ ٦١) برقم (٧١٣٤) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أما ما أخرجه أحمد (٦٨) عن سريج، قال: حدثنا فليح، عن عمر بن العلاء الثقفي، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الْمَدِينَةُ وَمَكَّةُ مَحْفُوفَتَانِ بِالْمَلَائِكَةِ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكٌ لَا يَدْخُلُهَا الدَّجَّالُ، وَلَا الطَّاعُونُ " فإسناده ضعيف؛ لجهالة عمر بن العلاء الثقفي وأبيه (٦٩) ، وضعف فليح – وهو ابن سليمان راويه عن عمر بن العلاء – عند الأكثر (٧٠) .

ثم إن ذكرَ مكةَ فيه غيرُ محفوظٍ, فقد رُوي الحديثُ من طريق نعيم بن عبد الله المُجْمر، وأبي عبد الله القراظ، وأبي صالح، ثلاثتهم عن أبي هريرة بأسانيد صحيحة, ولم يذكر أحدٌ منهم فيه مكةَ .

قال ابن كثير – بعد أن ساق الحديث من طريق فليح، عن عمر بن العلاء الثقفي – : هذا غريبٌ جداً، وذِكْر مكة في هذا ليس بمحفوظ، أو ذكر الطاعون، والله أعلم, والعلاء الثقفي هذا إن كان ابن زيدل، فهو كذاب (٧١) .

ومما يؤيد ذلكَ الواقعُ, فقد دخل الطاعونُ مكةَ سنة تسع وأربعين وسبع مائة، وبعد ذلك, كما ذكر ذلك العلماء (٧٢) .

---

(٦٨) في المسند (١٦/ ١٨٤) رقم (١٠٢٦٥) .

(٦٩) ينظر التاريخ الكبير (٦/ ١٨٠) للبخاري (تصوير دار الكتب العلمية , بيروت) , والجرح والتعديل (٦/ ١٢٥) لابن أبي حاتم الرازي , (تصوير دار الفكر , بيروت) , وتعجيل المنفعة (٢/ ٤٧) لابن حجر العسقلاني , (تحقيق : د. إكرام الله إمداد الحق , دار البشائر الإسلامية , بيروت , الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ) .

(٧٠) ينظر تهذيب الكمال (٢٣/ ٣١٧) للمزي, (تحقيق: د. بشار عواد معروف, الطبعة: الثانية, مؤسسة الرسالة, بيروت, ١٤٠٣هـ) , وتهذيب التهذيب (٨/ ٣٠٣) لابن حجر العسقلاني, (تحقيق: إبراهيم الزيبق, وعادل مرشد, الطبعة: الأولى, مؤسسة الرسالة, بيروت, ١٤١٦هـ) .

(٧١) البداية والنهاية (١٩/ ١٨٩) لابن كثير, (تحقيق: أحمد ملحم وآخرين, دار الكتب العلمية, بيروت) .

قلتُ : الصواب أن العلاء ليس هو ابن زيدل, وإنما هو ابن جارية كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة (٢/ ٤٧) في ترجمة ابنه عمر, فقد قال : " عمر بن العلاء بن جارية الثقفي عن أبيه عن أبي هريرة وعنه فليح بن سليمان بحديث " لا يدخل مكة والمدينة الطاعون ولا الدجال " ذكره البخاري فقال: عمر بن العلاء الثقفي قال سعيد بن منصور عن فليح فذكره, وقال: حديثه في المدنيين إن لم يكن أخا الأسود بن العلاء فلا أدري؟ قلت: والأسود هو ابن العلاء بن جارية مذكور في "التهذيب". وقال ابن أبي حاتم: قلت لأبي: أهو أخو الأسود بن العلاء؟ فقال: لا أدري, هو شيخ مديني. وذكره ابن حبان في "الثقات" بحاصل ما ذكر, إلا الشك في أنه أخو الأسود ".

وانظر ترجمة العلاء بن زيدل في تهذيب التهذيب (٨/ ١٨٢) , ولسان الميزان (٧/ ٣٠٩) لابن حجر العسقلاني , (تحقيق : دائرة المعرف النظامية – الهند , مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان , الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أما المدينة فلم يدخلها الطاعون أبداً لا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم, ولا بعد وفاته, بل استمرت هذه الخصيصة حتى اليوم؛ تمييزاً لها عن غيرها من البلاد؛ وتحقيقاً لإجابة دعائه صلى الله عليه وسلم, وإظهاراً لهذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره هذه المدة المتطاولة (٧٣) .

ولعل هذا أحد أسباب رجوع عمر والصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة حين وقع الوباء بالشام؛ ثقةً منهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أمّنهم من دخول الطاعون بلدَهم المدينةَ, والله أعلم (٧٤) .

٧ – أنها تنفي خبثها وشرارها وتخرجهم منها :

وقد ورد ذلك في عدة أحاديث, منها ما أخرجه مسلم (٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ،

---

(٧٢) ينظر بذل الماعون (ص/٢٠٨) .

(٧٣) ينظر بذل الماعون (ص/٢٠٧) , فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٩١) .

قال ابن حجر : " قرأت في كتاب الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة, في وصف الطاعون الكبير: عمّ البلاد, وأباد العباد. وقطع كل درب, وساوى بين أهل الشرق والغرب. فكثرت به الأوجاع, وانتقل بمصر من الإصبع إلى الذراع . ثم تيمم بها الصعيد, وترك الناس كالزرع ما بين قائم وحصيد. واتفقت فيه عجائب وغرائب :

منها: أن الطاعون الذي وقع في سنة تسع وأربعين وأربع مائة عمّ الأرض, فساواه هذا في ذلك, ولم يتفق ذلك في غيرهما.

ومنها: أن مكة لم يدخلها الطاعون قط, إلا هذه المرة, فمات بها خلق كثير من أهلها والمجاورين بالطاعون, وتواتر النقل بذلك .

ومنها: أنه مات فيه الطيور والوحوش والكلاب والغزلان والكلاب والقِطاط, بالخرّاج تحت الإبط, وبغير ذلك من أنواع الطاعون. قال: **ولم يسلم منه في هذا العام من مدن الأرض كلها, غيرُ مدينة النبي صلى الله عليه وسلم.**

ومنها: أن من مات فيه – على سبيل التقريب – نصف الموجودين من العالم الحيواني. وبلغ الموت بالقاهرة في كل يوم عشرين ألفاً, وقيل: خمسة وعشرين ألفاً, وقيل: سبعة وعشرين ألفاً !!

قلت : ذكر ابن كثير في (تاريخه) أن من الناس في أمر القاهرة المقلّل والمكثر؛ فالمقلّل يقول: أحد عشر ألفاً, والمكثر يقول: ثلاثون ألفاً, انتهى " . بذل الماعون (ص/٣٧٩) .

(٧٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٥٥٠) بتصرف, والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢/ ٥٥٨) لابن الملقن , (تحقيق :دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث , دار النوادر، دمشق – سوريا , الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ (٧٦) ، تُخْرِجُ الْخَبِيثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ (٧٧) " .

وفي لفظٍ عنده (٧٨) : " تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ " .

وعن زيد بن ثابت، عن النبي ﷺ قال: " إِنَّهَا طَيْبَةُ – يَعْنِي الْمَدِينَةَ – وَإِنَّهَا تَنْفِي الْخَبَثَ (٧٩) ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ " أخرجه البخاري (٨٠) ومسلم (٨١), واللفظ له .

وفي حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعاً : " إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ (٨٢) طَيِّبُهَا (٨٣) " . أخرجه البخاري (٨٤) ومسلم (٨٥), واللفظ له ٠

---

(٧٥) في الصحيح برقم (١٣٨١).

(٧٦) الكير : هو منفاخ الحدّاد الذي ينفخ به النار . وقيل : هو المبنيّ من الطين . ينظر العين ٤٠٤/٥, تهذيب اللغة ١٨٨/١٠, الفائق في غريب الحديث (٢٩٠/٣) للزمخشري , (تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم , دار المعرفة – لبنان , الطبعة الثانية) , النهاية في غريب الحديث والأثر (٢١٧/٤) لابن الأثير. (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي. الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ) .

(٧٧) خبث الحديد : هو ما نفاه الكير . جمهرة اللغة ٢٥٨/١.

(٧٨) صحيح مسلم رقم (١٣٨٢).

(٧٩) وفي لفظٍ للبخاري برقم (٤٠٥٠) : " تنفي الذنوب " .

(٨٠) في صحيحه برقم (٤٥٨٩) .

(٨١) في صحيحه برقم (١٣٨٤) .

(٨٢) ينصع : يخْلُص, وقيل: يبقى ويظهر .

وزعم الزمخشري أن الرواية : " وتُبْضِع طيبَها " وأنه مِن أبضعتُه بضاعتَه إذا دفعتَها إليه .

قال ابنُ الأثير : يعني أن المدينة تعطي طيبَها ساكنها. والمشهور بالنون والصاد المهملة. وقد روي بالضاد والخاء المعجمتين، وبالحاء المهملة من النضح والنضخ، وهو رشّ الماء. ينظر الفائق في غريب الحديث ٢٩٠/٣, مشارق الأنوار ٣٢٤/١, النهاية في غريب الحديث والأثر (١ / ١٣٤) و (٥ / ٦٥) .

(٨٣) تُروى بكسر الطاء وسكون الياء, وبفتح الطاء وكسر الياء المشددة . انظر مشارق الأنوار ٣٢٤/١.

ومن هنا جاءت تسميتها بطيبة وطابة من الطِّيب, والله أعلم .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي حديث أنس بن مالك ﷺ – في ذكر الدجال – قال ﷺ : " ثُمَّ تَرْجُفُ المدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ (٨٦) ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ " متفق عليه (٨٧) .

وفي حديث يوم الخلاص (٨٨) : " ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ، وَلَا مُنَافِقَةٌ، وَلَا فَاسِقٌ، وَلَا فَاسِقَةٌ، إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ يَوْمُ الْخَلَاصِ " أخرجه أحمد (٨٩) .

وعند الطبراني (٩٠) من حديث جابر ﷺ مرفوعاً : " فَلَا يَبْقَى بِالْمَدِينَةِ مُشْرِكٌ وَلَا مُشْرِكَةٌ، وَلَا كَافِرٌ وَلَا كَافِرَةٌ، وَلَا مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ، وَلَا فَاسِقٌ وَلَا فَاسِقَةٌ، إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، وَيَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ، فَذَلِكَ يَوْمُ الْخَلَاصِ ".

ومن مجموع هذه الأحاديث نستنبط ما يلي :

أولاً : أن الخروج من المدينة ينقسم إلى قسمين :

أ – خروجٌ دائمٌ : بحيث ينتقل منها إلى غيرها بالكلية.

---

(٨٤) في صحيحه برقم (١٨٨٣).

(٨٥) في صحيحه برقم (١٣٨٣).

(٨٦) قال ابن حجر : أي يحصل لها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة. حتى يخرج منها من ليس مخلصاً في إيمانه, ويبقى بها المؤمن الخالص, فلا يسلط عليه الدجال . فتح الباري (٤/ ٩٦) .

(٨٧) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٨٨١) , ومسلم في صحيحه برقم (٢٩٤٣).

(٨٨) يوم الخلاص : هو اليوم الذي تتخلّص فيه المدينة من الكفار والمشركين والمنافقين والفساق الذين يقطنونها بخروجهم منها لملاقاة الدجال عند نزوله بالقرب منها في آخر الزمان. وانظر فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٩٤) .

(٨٩) في المسند برقم (١٨٩٧٥) من حديث محجن بن الأدرع ﷺ , ورجاله ثقات , إلا أن في سنده انقطاعاً , لكن يشهد له حديث جابر ﷺ الآتي بعده , كما يشهد له حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ عند أبي داود في سننه برقم (٤٣٢٢) (تحقيق: عزت عبيد الدعاس, وعادل السيد, الطبعة : الأولى , دار الحديث, بيروت, ١٣٩٣هـ) , وابن ماجه في سننه برقم (٤٠٧٧).

(٩٠) في المعجم الأوسط برقم (٢١٦٥) ونحوه برقم (٣٥١٥) (تحقيق: د. محمود الطحان, مكتبة المعارف, الرياض, الطبعة الأولى , ١٤٠٧هـ) . وفي سنده علي بن عاصم الواسطي وهو ضعيف , وقد أشار الطبراني إلى تفرده به. وانظر بقية تخريجه في مسند أحمد (٩/٢٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ب – خروجٌ مؤقّتٌ : كخروجه لأداء عبادةٍ : كالحج والعمرة والجهاد والتعلم والتعليم , أو خروجه لغرضٍ مباحٍ : كالتجارة والسياحة ونحو ذلك.

والمذموم هنا هو الخروج الدائم الذي لا يصحبه نيةُ عَوْدةٍ إليها.

لكن مع قيدٍ آخرَ مهمٍ ألا وهو خروجه منها رغبةً عنها وزهداً فيها, من أجل نيل حظٍ من حظوظ الدنيا؛ أما لو اضطر للانتقال منها لسببٍ مباحٍ, كخروجه لعلاجٍ لا يجده فيها, أو لأمرٍ مهمٍّ فيه مصلحة للإسلام والمسلمين, أو لتكليفه بعملٍ لا مناص له منه, فلا يشمله هذا الحديث .

وذلك لما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ السابق : " يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ ... " الحديث .

قال ابن بطال – رحمه الله تعالى – : " المراد بالحديث: الخارجون عن المدينة رغبةً عنها كارهين لها، فهؤلاء المدينة خير لهم، وهم الذين جاء فيهم الحديث (أنها تنفي خبثها), وأما من خرج من المدينة لحاجةٍ, أو طلب معيشةٍ, أو ضرورةٍ, ونيته الرجوع إليها فليس بداخلٍ في معنى الحديث والله أعلم (٩١).

وقال الإمام النووي – رحمه الله تعالى – : " الصواب الذي عليه المحقّقون أن معناه الإخبار عمّن خرج من المدينة متحمّلاً بأهله باسّاً (٩٢) في سيره, مسرعاً إلى الرخاء في الأمصار التي أخبر النبي ﷺ بفتحها " (٩٣) .

وقال الأُبّي: " خروج مَن خرج من الصحابة لم يكن لذلك (أي رغبةً عنها), إنما خرج لمصلحة دينية من تعليم أو جهاد " (٩٤) .

---

(٩١) شرح صحيح البخاري (٤ / ٥٤٧) . وانظر فتح الباري لابن حجر (٤/ ٩٣).

(٩٢) البَسّ : هو السير, وزجر الإبل واستحثاثها في المسير, يقال لها عند سوقها : بَسْ بَسْ . وهي من كلام أهل اليمن, وفيها لغتان : بسست, وأبسست. ينظر تهذيب اللغة ٢٢١/١٢, وتفسير غريب ما في الصحيحين ٤٠٥/١, للحميدي (تحقيق : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز , مكتبة السنة – القاهرة , الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ) , والفائق في غريب الحديث (١٠٧/١) , ومشارق الأنوار (١٠٠/١) .

(٩٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٩ / ١٥٩).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثانياً : اختلف العلماء في نفي المدينة خَبَثَها متى يكون ؟

– فقيل : إنه خاصٌّ بزمن النبي ﷺ , وإليه مال ابنُ عبد البر وطائفةٌ من العلماء .

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى : " هذا عندي – والله أعلم – إنما كان في حياة رسول الله ﷺ فحينئذ لم يكن يخرج من المدينة رغبة عن جواره فيها إلا من لا خير فيه , وأما بعد وفاته فقد خرج منها الخيار الفضلاء الأبرار " (٩٥) .

– وقيل : إن ذلك يكون في آخر الزمان بعد خروج الدجال, وذلك عندما ينزل قرب المدينة ويحاول دخولها , فترجف المدينة حينئذٍ بأهلها ثلاث رجفاتٍ , فيخرج منها كل كافرٍ ومشركٍ ومنافقٍ وفاسقٍ ويلحق به كما مرّ في الأحاديث السابقة.

وهو الذي جنح إليه ابن حزمٍ حيث قال – في معرض كلامه عن الحديث السابق : " إنما المدينة كالكير ... " الحديث – : " هذا الخبر إنما هو في وقتٍ دون وقتٍ، وفي قومٍ دون قومٍ، وفي خاصٍ لا في عامٍ " (٩٦) .

---

(٩٤) إكمال إكمال المعلم (٤٧٣/٣). وانظر شرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٣٥٢) , ومرقاة المفاتيح (٥ / ١٨٧٣).

(٩٥) التمهيد (٢٣/ ١٧١) .

وقال في الاستذكار (٨/ ٢٢٦) : " وأما قوله : (تنفي الناس) فكلامٌ عمومٌ معناه الخصوص ؛ لأنها لم تنف من الناس على عهد رسول الله ﷺ وفي حياته إلا من لا إيمان له ولا خير فيه, ممن رغب بنفسه عن نفس رسول الله ﷺ ونصرته وصحبته .

والدليل على أن ذلك كلامٌ خرج على صحبته والمقام معه في حياته خروجُ الجلّة من الصحابة عن المدينة بعد موته إلى العراق والشام وسائر بلدان الإسلام , يعلّمون الناس الدين والقرآن , فكم منهم سكن حمص ودمشق وسائر ديار الشام , وكم منهم سكن الكوفة والبصرة وغيرها وسائر ديار العراق وما وراءها , ولم يختطّ من اختطّ الكوفة والبصرة وغيرها منهم إلا بإذن عمر بن الخطاب وسائر الصحابة رضي الله عنهم ".

وانظر فتح الباري (٨٨/٤) , وعمدة القاري (٢٣٥/١٠) , وتنوير الحوالك (٢٠٢/٢) للسيوطي (المكتبة التجارية الكبرى , مصر , ١٣٨٩هـ) .

(٩٦) المحلى بالآثار (٥/ ٣٢٦) لابن حزم , (تحقيق : أحمد شاكر , دار التراث , القاهرة) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

واحتجّ على دعواه بوجود المنافقين على عهد رسول الله ﷺ بها , وبخروج الصحابة رضوان الله عليهم منها , وبحال سكان المدينة في عصره حيث قال : " وسكان المدينة اليوم أخبث الخبث ! وإنا لله وإنا إليه راجعون على مصيبتنا في ذلك " (٩٧) .

- ومنهم من تَردَّد فقال : يُحتمل أنه خاصٌّ بزمن النبي ﷺ , أو أنه مختصٌّ بزمن الدجال, أو أنه في أزمانٍ متفرقةٍ (٩٨) .

- وقيل : إن ذلك عامٌّ في كل وقتٍ (٩٩) , وهذا هو الصواب؛ وذلك لأمورٍ منها :

١ – عموم النصوص الواردة في ذلك وعدم المخصِّص لها.

قال القاضي عياض : " قوله : " لا يخرج أحدٌ رغبةً عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه " ذهب بعضهم أن هذا خصوص مدة حياته – عليه السلام – . وقال آخرون : هو عمومٌ أبداً، وهذا أظهر؛ لقوله في الحديث الآخر أول الكلام : " يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه : هلمّ إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده، لا يخرج أحد منها رغبة عنها إلا أخلف الله فيها من هو خير منه " الحديث ، وأن كلامه – عليه السلام – ممن يخرج عنها ممن كان مستوطناً بها (١٠٠) .

وقال المباركفوري في معرِض كلامه عن فضل الإقامة بالمدينة : " الإقامة بالمدينة في حياته ﷺ أفضل إجماعاً, فيُستصحب ذلك بعد وفاته حتى يثبت إجماعٌ مثله يرفعه " (١٠١) .

---

(٩٧) المصدر نفسه (٥/ ٣٢٧).

(٩٨) ينظر شرح النووي على مسلم (٩/ ١٥٤) , الكاشف عن حقائق السنن (٦/ ٢٠٦٠) للطيبي , (تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي , مكتبة نزار مصطفى الباز, الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ) .

(٩٩) ينظر فتح الباري (٩٦/٤) , والأحاديث الواردة في فضائل المدينة (ص/٣٠) للرفاعي (طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الطبعة : الثانية ١٤١٥هـ) .

(١٠٠) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (٤/ ٢٥٠) .

(١٠١) مرعاة المفاتيح (٩ / ٥٤٩-٥٥٠).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢ – ما جاء في سبب ورود حديث جابر ﷺ السابق : أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الإِسْلاَمِ، فَأَصَابَ الأَعْرَابِيَّ وَعْكٌ بِالْمَدِينَةِ، فَأَتَى الأَعْرَابِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، فَخَرَجَ الأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّمَا المَدِينَةُ كَالكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طِيبُهَا " (١٠٢) .

فهذا النفي وقع في زمن النبي ﷺ , ففيه ردٌّ على ابن حزم – رحمه الله تعالى – .

٣ – أن بعض الصحابة – بعد زمن النبي ﷺ – لما استشيروا في أمر الخروج من المدينة, أشاروا بعدم الخروج منها, مستدلّين بهذه الأحاديث.

– فمن ذلك أن ابن عمر ﷺ أتته مولاةٌ له في الفتنة (١٠٣) تسلّم عليه فقالت: إِنِّي أَرَدْتُ الْخُرُوجَ، يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، اشْتَدَّ عَلَيْنَا الزَّمَانُ، فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللهِ: اقْعُدِي لَكَاعِ (١٠٤)، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (١٠٥) .

قال ابن عبد البر : " مخرج حديث ابن عمر هذا يعمّ الأوقاتَ كلَّها. وقد قيل : إن ذلك إنما ورد فيمن صبر على لأوائها وشدّتها ذلك الوقت مع رسول الله ﷺ بدليل خروج الصحابة عنها بعده " (١٠٦) .

---

(١٠٢) صحيح البخاري رقم (٧٢١١).

(١٠٣) الظاهر أن المراد بالفتنة هنا هي وقعة الحرة التي وقعت زمن يزيد بن معاوية, وسيأتي بيانها .

(١٠٤) لَكَاعِ : بفتح اللام , وأما العين فمبنية على الكسر, قال أهل اللغة : يقال: امرأة لكاع , ورجل لُكَع بضم اللام وفتح الكاف. ويطلق ذلك على اللئيم وعلى العبد وعلى الغبي الذي لا يهتدي لكلام غيره وعلى الصغير, ومنه قوله ﷺ يطلب الحسن : " أثَمَّ لكع " .

ويقال للمرأة: لكاع على وزن فعال، والجميع من اللكع وهو اللؤم، وقيل: من الملاكيع وهو ما يخرج من السلا من البطن.

وخاطبها ابن عمر بهذا إنكارا عليها لإدلاله عليها؛ لكونها ممن ينتمي إليه ويتعلق به .

انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٩ / ١٥١) , شرح الزرقاني على الموطأ (٤ / ٣٤٦) .

(١٠٥) صحيح مسلم رقم (١٣٧٧).

(١٠٦) التمهيد (٢١ / ٢٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

– وكذا ما جاء عن أبي سعيد مولى المهري، أنه جاء أبا سعيد الخدري ﷺ ليالي الحرة (١٠٧)، فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له: ويحك لا آمرك بذلك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا، فَيَمُوتَ، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا – أَوْ شَهِيدًا – يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا " (١٠٨) .

وهذا كله كان بعد وفاة النبي ﷺ بزمنٍ طويلٍ؛ فقد كانت وقعة الحرة سنة ثلاثٍ وستين للهجرة .

٤ – ما ذكره الإمام مالك في "موطئه" – بلاغاً – أن عمر بن عبد العزيز حين خرج من المدينة التفت إليها فبكى، ثم قال: " يا مزاحم ، أتخشى أن نكون ممن نفت المدينة ؟ " (١٠٩) .

وقد ذكره الإمام مالك عقب الأحاديث التي تحث على سكنى المدينة وترغب في ذلك ومنها حديث أبي هريرة وحديث جابر المتقدمين. وهذا يدلّ على أن عمر بن عبد العزيز ومالكاً رحمهما الله تعالى كانا يريان عموم تلك الأحاديث في كل زمان.

أما ما احتجّ به ابنُ عبد البر من خروج الصحابة منها بعد وفاة النبي ﷺ فهذا الخروج لم يكن رغبةً عنها , ولا زهداً فيها , ولا كان من أجل نيل حظٍ من حظوظ الدنيا ؛ وإنما كان لمصلحةٍ دينيةٍ عظيمةٍ؛ ألا وهي الجهاد في سبيل الله وفتح البلاد, ونشر السنة, وتعليم الناس العلم, والله أعلم.

٨ – لا يدخلها رُعْبُ المسيح الدجَّال :

---

(١٠٧) ليالي الحرة : هي معركةٌ وقعت في المدينة سنة ثلاثٍ وستين بين أهل المدينة وبين القائد مسلم بن عقبة المرّي, حيث أرسله يزيد بن معاوية على رأس جيشٍ؛ لتأديب أهل المدينة بعد أن خلعوه, وطردوا واليه منها, وقد انهزم أهل المدينة في هذه المعركة ووقعت فيهم مقتلةٌ عظيمةٌ . ينظر تاريخ خليفة بن خياط (ص/ ٢٣٦), (تحقيق : د. أكرم ضياء العمري , دار القلم , مؤسسة الرسالة – دمشق , بيروت , الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ) , والمعرفة والتاريخ (٣٢٥/٣) للفسوي , (تحقيق : أكرم ضياء العمري , مؤسسة الرسالة، بيروت , الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ) , والأخبار الطوال (ص/٢٦٤) للدينوري , (تحقيق: عبد المنعم عامر , مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال , دار إحياء الكتب العربي القاهرة , الطبعة: الأولى،١٩٦٠م) , وتاريخ الرسل والملوك (٤٨٢/٥) للطبري , (طبع دار الكتب العلمية , بيروت , الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ) , والبدء والتاريخ (١٤/٦) للمقدسي , (طبع مكتبة الثقافة الدينية، ببور سعيد – مصر) .

(١٠٨) صحيح مسلم رقم (١٣٧٤).

(١٠٩) الموطأ (٨٨٩/٢) (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي, بيروت, ١٤٠٦هـ) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مما اختُصّت به المدينةُ النبويةُ على سائر البلدان أنه لا يدخلها المسيحُ الدجّال, ولا رُعبُه, – وهو الخوف والذّعر الذي ينتشر في الآفاق بسبب فتنته – إلا مكة المشرفة؛ فقد شاركتْها في عدم دخول المسيح الدجّال إليها, لكنّ المدينة فَضَلتْها بعدم دخولِ رُعبه أيضاً.

والدليل على ذلك ما يلي :

عن أبي بكرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " لاَ يَدْخُلُ المَدِينَةَ رُعْبُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ " أخرجه البخاري (١١٠) .

وعن طلحة بن عبد الله بن عوف، أن عياض بن مسافع، أخبره عن أبي بكرة، أخي زياد لأمه، قال أبو بكرة: أكثر الناس في شأن مسيلمة الكذاب قبل أن يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: " أَمَّا بَعْدُ، فِي شَأْنِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ أَكْثَرْتُمْ فِي شَأْنِهِ، فَإِنَّهُ كَذَّابٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا يَخْرُجُونَ قَبْلَ الدَّجَّالِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بَلَدٌ إِلَّا يَدْخُلُهُ رُعْبُ الْمَسِيحِ، إِلَّا الْمَدِينَةَ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهَا يَوْمَئِذٍ مَلَكَانِ يَذُبَّانِ عَنْهَا رُعْبَ الْمَسِيحِ " أخرجه أحمد (١١١) .

فهذان الحديثان يدلّان على اختصاص المدينة بهذه الخاصيّة, وتفوّقها على مكة المكرمة وسائر الأمصار في ذلك, وعلى أن الدجّال شيءٌ, ورُعبُه شيءٌ آخر, بدليل أن مكة قد ثبت أنه لا يدخلها الدجالُ أيضاً كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " لَيْسَ

---

(١١٠) في صحيحه (٣/ ٢٢) رقم (١٨٧٩) .

(١١١) أخرجه أحمد في المسند (٣٤/ ١١٤) رقم (٢٠٤٦٤) وغيره .

الحديث في إسناده ضعف، لأن عياض بن مسافع لم يرو عنه غيرُ طلحة بن عبد الله بن عوف، ولم يوثقه غيرُ ابن حبان، وقال الحسيني في الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال (ص/ ٣٢٩) (تحقيق: د عبدالمعطي أمين قلعجي , منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي – باكستان) : لا يعرف . فهو في عداد المجهولين، وباقي رجال الإسناد ثقات .

لكنّ موضع الشاهد منه وهو قوله : " وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا يَبْلُغُهُ رُعْبُ الْمَسِيحِ إِلَّا الْمَدِينَةَ .... " يشهد له الحديث السابق فيتقوّى به . وبذا قوّاه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان (١٥/ ٢٩) .

وقد أورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٣٣٢/٧ وقال: رواه أحمد والطبراني، وأحد أسانيد أحمد والطبراني رجاله رجال الصحيح.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالمدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ المِلاَئِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ " أخرجه البخاري(١١٢) .

فإن قال قائلٌ : إن قوله عليه الصلاة والسلام: " لاَ يَدْخُلُ المدِينَةَ رُعْبُ المسِيحِ الدَّجَّالِ " يعارضه قوله في حديث أنس السابق : " ثُمَّ تَرْجُفُ المدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ " والرجْف رُعبٌ !

فالجواب : أنه ليس فيه معارضة؛ فرجفات المدينة ليستْ من رعب الدجال ولا من خوفه، وإنما تكون الرجفة من أهل المدينة على من بها من المنافقين والكافرين, الذين يتشوّفون إلى الدجال, فيُخرجهم أهلُ المدينة بإخافتهم إياهم, فيخرج المنافقون والكفار إلى الدجال فرارًا من أهل المدينة ومن قوّتهم عليهم .

والدليل على أن المؤمنين فيها لا يرعبون من الدجال؛ أنه يخرج إليه منهم رجلٌ يناظره وهو الذى يقول له الدجال: " أرأيت إن قتلتُ هذا ثم أحييتُه أتشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا, فيقتله ثم يحييه، فيقول ذلك الرجل: والله ما كنت قطّ أشدُّ بصيرةً مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلّط عليه ". فهل يدخل رعبُه المدينةَ وأحدهم يناظره ويقارعه ويجهر له بأنه الدجال، ولا يوهن قلبَه ما يراه من قدرة الله الذى أقدره على أن يقتل رجلاً ثم يحييه, ولا يخافه على مهجته, وهو وحده لا يمتنع منه بعَددٍ ولا عدّةٍ ولا جماعةٍ (١١٣) .

وقال ابن حجر : " حاصل ما وقع به الجمع أن الرعب المنفي هو الخوف والفزع؛ حتى لا يحصل لأحدٍ فيها بسبب نزوله قربها شيءٌ منه . أو هو عبارةٌ عن غايته وهو غلبته عليها (١١٤) .

٩ – أن الذي يفضح المسيحَ الدَّجالَ رجلٌ من أهل المدينة :

---

(١١٢) في صحيحه (٣/ ٢٢) رقم (١٨٨١) .

(١١٣) ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٥٥١) و (١٠/ ٦٤) , والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٩/ ٥٩٨) و (٣٢/ ٤٠٨).

(١١٤) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٩٤) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثبت في الصحيح أن الذي يفضح الدجالَ, ويكشف عَواره للناس, رجلٌ من أهل المدينة, هو خيرُ الناس، أو من خيار الناس .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما يحدثنا به أنه قال : " يَأْتِي الدَّجَّالُ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ المَدِينَةِ (١١٥)، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي المَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ – أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ – فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ " أخرجه البخاري (١١٦) .

وقد استقصى الحافظُ ابنُ حجر –كعادته – ألفاظ الحديث وساقها سياقاً حسناً فقال : " قوله : " فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خيار الناس " في رواية صالح عن ابن شهاب عند مسلم : " أو من خير الناس ", وفي رواية أبي الوداك عن أبي سعيد عند مسلم : " فيتوجه قِبَلَه رجلٌ من المؤمنين فيلقاه مسالح الدجال فيقولون : أو ما تؤمن بربنا ؟ فيقول : ما بربّنا خفاء, فينطلقون به إلى الدجال بعد أن يريدوا قتله, فإذا رآه قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ", وفي رواية عطية : " فيدخل القرى كلها غير مكة والمدينة حرّمتا عليه, والمؤمنون متفرّقون في الأرض, فيجمعهم الله, فيقول رجل منهم : والله لأنطلقنّ فلأنظرنّ هذا الذي أنذَرَناه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم, فيمنعه أصحابه خشية أن يفتتن به, فيأتي حتى إذا أتى أدنى مسلحةٍ من مسالحه أخذوه فسألوه ما شأنه ؟ فيقول : أريد الدجال الكذاب, فيكتبون إليه بذلك, فيقول : أرسلوا به إليّ, فلما رآه عرفه ".

---

(١١٥) قال الأخفش: أنقاب المدينة: طرقها، الواحد: نقب، وهو من قول الله تعالى: (فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ) [ق: ٣٦] أي: جعلوا فيها طرقًا ومسالك.
وقال ابن وهب: يعني مداخلها. وقال غيره: هي أبوابها وفوّهات طرقها التي يدخل منها إليها.
وقال الخطابي: هي الطريق في رأس الجبل . ينظر مجمل اللغة (٤/ ٨٨٠) , المحكم (١/ ٢٧٧) لابن سيده , (تحقيق : عبد الحميد هنداوي , دار الكتب العلمية – بيروت , الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ) , شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٥٥٠) , المنتقى شرح الموطأ (٧/ ١٩٥) , التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢/ ٥٥٧) .
(١١٦) في صحيحه (٩/ ٦٠) برقم (٧١٣٢) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قوله : " فيقول : أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ", في رواية عطية : " أنت الدجال الكذاب الذي أنذَرَنَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ", وزاد : " فيقول له الدجال : لتطيعنّي فيما آمرك به, أو لأشقنّك شقّتين, فينادي : يا أيها الناس هذا المسيح الكذاب " .

قوله : " فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييتُه هل تشكّون في الأمر ؟ فيقولون : لا ", في رواية عطية : " ثم يقول الدجال لأوليائه ", وهذا يوضح أن الذي يجيبه بذلك أتباعه, ويردّ قولَ من قال : إن المؤمنين يقولون له ذلك تقيةً, أو مرادهم لا نشكّ أي في كفرك وبطلان قولك.

قوله : " فيقتله ثم يحييه " في رواية أبي الوداك : " فيأمر به الدجال فيُشبح, فيُشبع ظهره وبطنه ضرباً, فيقول : أما تؤمن بي ؟ فيقول : أنت المسيح الكذاب, فيؤمر به فيوشر بالميشار (١١٧) من مفرقه حتى يفرق بين رجليه, ثم يمشي الدجال بين القطعتين, ثم يقول : قم فيستوي قائماً ", وفي حديث النواس بن سمعان عند مسلم : " فيدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين, ثم يدعوه فيقبل ويتهلّل وجهه يضحك ", وفي رواية عطية : " فيأمر به فيمدّ برجليه, ثم يأمر بحديدة فتوضع على عَجْب ذنبه, ثم يشقه شقتين, ثم قال الدجال لأوليائه : أرأيتم إن أحييت لكم هذا ألستم تعلمون أني ربكم ؟ فيقولون : نعم, فيأخذ عصاً فضرب أحد شقيه فاستوى قائماً, فلما رأى ذلك أولياؤه صدّقوه وأحبّوه وأيقنوا بذلك أنه ربهم ", وعطية ضعيف " (١١٨) .

١٠ – الوعيدُ لمن أحْدَثَ فيها حَدَثاً أو آوى مُحْدِثاً بلعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين :

لا يخفى عِظَمُ جُرْم من أحدث في الدين أو آوى المُحْدِثين, لكن يزداد الأمرُ شِدّةً, والذَّنبُ غِلْظةً إذا وقع هذا في مدينة التوحيد والسنة؛ مدينة النبي صلى الله عليه وسلم, فإن فاعل ذلك متوّعّدٌ بلعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين .

---

(١١٧) المِئْشارُ، بِالْهَمْزِ: هُوَ المِنْشارُ، بِالنُّونِ، وَقَدْ يُتْرَكُ الْهَمْزُ. يُقَالُ: أَشَرْتُ الخَشَبة أَشْراً، ووَشَرْتُهَا وَشْراً إِذا شَقَقْتَها مِثْلُ نَشَرْتُها نَشْرًا، وَيُجْمَعُ عَلَى مآشيرَ ومِوَاشير .
قال ابن السّكّيت: يُقَال للمنشار الَّذِي يُقطع بِهِ الْخشب: ميشار وَجمعه مواشير . ينظر تهذيب اللغة (١١/ ٢٨١) , لسان العرب (٤/ ٢١) , تاج العروس (١٠/ ٥٥) .
(١١٨) فتح الباري (١٣/ ١٠٢) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فعن علي رضي الله عنه، قال: مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " المدِينَةُ حَرَمٌ، مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا (١١٩)، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ ... " أخرجه البخاري (١٢٠) .

وقد رواه الإمام مسلم بسنده عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال : خَطَبَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِنْدَنَا شَيْئًا نَقْرَؤُهُ إِلَّا كِتَابَ اللهِ وَهَذِهِ الصَّحِيفَةَ – قَالَ: وَصَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ فِي قِرَابِ سَيْفِهِ – فَقَدْ كَذَبَ، فِيهَا أَسْنَانُ الْإِبِلِ، وَأَشْيَاءُ مِنَ الْجِرَاحَاتِ، وَفِيهَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا ... " (١٢١) .

وعند أحمد (١٢٢) بسنده عن الحارث بن سويد، قال: قيل لعلي: إِنَّ رَسُولَكُمْ كَانَ يَخُصُّكُمْ بِشَيْءٍ دُونَ النَّاسِ عَامَّةً، قَالَ: مَا خَصَّنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ لَمْ يَخُصَّ بِهِ النَّاسَ، إلا بِشَيْءٍ فِي قِرَابِ سَيْفِي هَذَا، فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً فِيهَا شَيْءٌ مِنْ أَسْنَانِ الْإِبِلِ، وَفِيهَا: " إِنَّ الْمَدِينَةَ حَرَمٌ مِمَّا بَيْنَ ثَوْرٍ إِلَى عَائِرٍ، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا ... " الحديث .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الْمَدِينَةُ مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوْالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ, وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا ". أخرجه أحمد (١٢٣) .

وعن عاصم الأحول، قال: قلتُ لأنس بن مالك: أَحَرَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ؟ قَالَ: نَعَمْ, مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا – قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: هَذِهِ شَدِيدَةٌ – " مَنْ

---

(١١٩) قال القاضي عياض: أي أتى إثماً، أو آوى من أتاه وحماه وضمه إليه، وهو نحو قوله تعالى في مكة: {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} ويقال: آوَى وَأَوَى، في اللازم والمتعدّي، والقصر في اللازم أشهر، والمدّ في المتعدّي أكثر . إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤/ ٤٨٦) . وانظر كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ١٩٥).

(١٢٠) في صحيحه (٣ / ٢٠) رقم (١٨٧٠).

(١٢١) صحيح مسلم (٢/ ٩٩٤) رقم (١٣٧٠) .

(١٢٢) في المسند (٢/ ٤٢٨) رقم (١٢٩٨).

(١٢٣) في مسنده (١٥/ ٥٠١) رقم (٩٨٠٨) وإسناده حسن .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا "، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ أَنَسٍ (١٢٤): " أَوْ آوَى مُحْدِثًا ". أخرجه مسلم (١٢٥) .

فهذه الأحاديث وما في معناها يستفاد منها ما يلي :

أولاً : اختصاص المدينة بتغليظ الوعيد بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين لمن أحدث فيها حدثًا أو آوى مُحدثًا.

وإنما خُصّت المدينة بالذِّكر هنا – مع أن الإحداث في الدين, أو إيواء المُحْدِثين, محرّمٌ في كل مكان – لأن اللعنة على من أحدث فيها حدثًا أشدّ, والوعيد له آكد؛ لانتهاكه ما حذّر النبي صلى الله عليه وسلم منه، وإقدامه على مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما كان يلزمه من تعظيم شأن المدينة التي شرّفها الله بأنها منزل وحيه, وموطن نبيه صلى الله عليه وسلم، ومنها انتشر الدين في أقطار الأرض, فكان لها بذلك فضلُ مزيّة على سائر البلاد (١٢٦) .

وقال غيره: " السرّ في تخصيص المدينة بالذكر أنها كانت إذ ذاك موطن النبي صلى الله عليه وسلم, ثم صارت موضع الخلفاء الراشدين " (١٢٧) .

---

(١٢٤) جاء في بعض الروايات أن اسمه: موسى, والصواب: النضر . قال الدار قطني – وقد سئل عن هذا الحديث – : " هو حديث صحيح عنه، رواه عبد الواحد بن زياد، فقال في آخره: قال موسى بن أنس : " أو آوى محدثاً ... "، ووهم في قوله: عن موسى بن أنس. والصحيح ما رواه شريك، وعمرو بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ، عَنِ أنس، وفي آخره: فقال النضر بن أنس : " أو آوى محدثاً ... " . العلل الواردة في الأحاديث النبوية (١٢/ ١٠٨) (تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي. ومحمد بن صالح بن محمد الدباسي . دار طيبة – الرياض. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ , والتكملة : طبع دار ابن الجوزي – الدمام , الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ) .

(١٢٥) في صحيحه (٢/ ٩٩٤) رقم ٤٦٣ – (١٣٦٦) . وهو بنحوه في صحيح البخاري (٩/ ١٠٠) رقم (٧٣٠٦) .

(١٢٦) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٣٥٠) بتصرف يسير. وانظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٣٣) , إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٢٠) , التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٣/ ٦٤).

(١٢٧) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٨٢). وانظر مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٥٠٩).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقال ابن هبيرة: " إنما غَلُظ إثم المحدِث بالمدينة؛ من حيث إنه يعتدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرأى منه، ويحدث في شريعته بحضرته المقدّسة؛ فإن من يعصي ملِكاً من ملوك الدنيا بعينه أهون من أن يُحضر معصيتَه في مجلسه أو بحضرته " (١٢٨) .

ثانياً : الأحاديث نصٌّ في التحذير من فعل شيءٍ من المنكر في المدينة النبوية (١٢٩) .

قال القاضي عياض: فيه وعيدٌ شديدٌ لمن فعل ذلك، ممن استحلّ حرمتها، أو أحدث فيها. وقد استدلوا لما جاءت به اللعنة أنه من الكبائر (١٣٠).

ثالثاً : في الأحاديث دليلٌ على أن من آوى أهل المعاصي والبدع أنه شريك في الإثم، لما تقرّر في الشرع من أن من رضي فعلَ قومٍ وعملَهم أنه منهم (١٣١).

قال ملا علي قاري في قوله صلى الله عليه وسلم: (أو آوى محدثاً) : " بكسر الدال اسم فاعل, أي ضم إليه أو إليها جانياً؛ بأن أجاره ونصره على خصمه, وحال بينه وبين أن يُقتصّ منه.

أو بفتحها, فيكون نفس الأمر المبتدع, وإيواؤه: الرضى به والصبر عليه وإفشاؤه, فمن رضي ببدعة وأقر عليها مُحدِثها ولم ينكرها مع القدرة على إنكارها فقد آواها وقوّاها " (١٣٢) .

رابعاً : قال القاضي عياض: " قيل: معنى لعنة الله هنا: يحتمل أن يراد به العذاب الذي يستوجبه على ذنبه، والطرد عن الجنان أولاً، ودخول النار حتى يخرجه الله منها.

---

(١٢٨) الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٦٦) (تحقيق : فؤاد عبد المنعم أحمد , دار الوطن , ١٤١٧هـ) .

(١٢٩) ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٣٥٠) .

(١٣٠) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤/ ٤٨٦). وانظر فتح الباري لابن حجر (٤/ ٨٤).
ولذا عدّ الهيتمي في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٣٤٢) (طبع دار الفكر , الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ) الإحداث في المدينة وإيواء المحدث فيها من جملة الكبائر .

(١٣١) ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٣٥٠) , فتح الباري لابن حجر (٤/ ٨٤) , عمدة القاري (١٠/ ٢٣٠).

(١٣٢) شرح الشفا لملا علي قاري (٢/ ١٠٠) بتصرف . (نشر دار الكتب العلمية – بيروت , الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

واللعنة معناها: الإبعاد، ولا يكون هذا كلعنة الكفار الذين يُبعدون عن رحمة الله رأساً.

ولعنة الملائكة والناس هنا: الدعاء عليهم بمثل هذا. وقد يكون لعنة الملائكة هنا ترك الدعاء لهم والاستغفار وإبعادهم عنه، وإخراجهم من جملة المؤمنين الذين يستغفرون لهم، كما حكى الله تعالى عنهم " (١٣٣) .

وقد اختلف العلماء في المراد بالحدث هنا على أقوالٍ (١٣٤) فقيل:

١ – الحدثُ: فعلُ ما يوجب الحدّ فيها.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: " الحدث كل حدٍّ لله تعالى يجب على صاحبه أن يقام عليه, وهذا شبيه بحديث ابن عباس في الرجل يأتي حدّاً من حدود الله تعالى ثم يلجأ إلى الحرم أنه قال: لا يقام عليه الحد في الحرم، ولكنه لا يجالس ولا يبايع ولا يكلّم حتى يخرج منه، فإذا خرج منه أقيم عليه الحد، فجعل النبي – عليه السلام – حرمة المدينة كحرمة مكة في المأثم في صاحب الحدّ أن لا يؤويه أحد حتى يخرج منها فيقام عليه، وليس حكمهما في الحدود في الدنيا سواء؛ لأن الحدود لا تقام بمكة إلا لمن أصابها بمكة, ولكنها في المأثم سواء " (١٣٥) .

٢ – وقيل: الحدث: هو الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتادٍ ولا معروفٍ في السنّة (١٣٦) .

---

(١٣٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤/ ٤٨٧). وانظر فتح الباري لابن حجر (٤/ ٨٤) , عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٢٩) , الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٣/ ٤٠٩) للسيوطي , تحقيق : أبي إسحاق الحويني. (دار ابن عفان للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – الخبر . الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ) , إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٢٣٨) , التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢/ ٥١١).

(١٣٤) تنظر هذه الأقوال في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٥٤١) , كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ١٩٥) , فتح الباري لابن حجر (٤/ ٨٤) , عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٢٨) .

(١٣٥) غريب الحديث (٣/ ١٦٨) (تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان . الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن . الطبعة: الأولى، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م) . وانظر فتح القدير (٧/ ١٣٤) للكمال ابن الهمام (طبع دار الفكر , بدون تاريخ) .

(١٣٦) جامع الأصول (٩/ ٣٠٥) لابن الأثير (تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون . الناشر : مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان الطبعة : الأولى) . وانظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال ابن تيمية : " مقصوده من أحدث فيها بدعة تخالف ما قد سُنّ وشُرع " (١٣٧) .

وقال الشوكاني في المحدِث : هو من عمل بخلاف السنة, كمن ابتدع بها بدعة (١٣٨) .

٣ – وقيل: المراد به الظلم.

وقد ورد فيه حديثٌ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " اللَّهُمَّ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَأَخَافَهُمْ فَأَخِفْهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ " أخرجه الطبراني (١٣٩) .

قال التيمي : يعني من ظلم فيها, أو أعان ظالماً (١٤٠) .

وقال ابن حجر: المراد بالحدَث والمحْدِث الظلم والظالم على ما قيل, أو ما هو أعم من ذلك (١٤١) .

(١٠/ ٢٢٨) , ونخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار (١٣/ ٧٤) للعيني , (تحقيق : ياسر بن إبراهيم , وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر , الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ) .

(١٣٧) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٢٩) ٤٧٦) لابن تيمية, (جمع عبدالرحمن بن قاسم, مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف , ١٤١٥هـ). وانظر شرح الشفا لملا علي قاري (٢/ ١٠٠).

(١٣٨) نيل الأوطار (٥/ ٤٠) بتصرف للشوكاني, (تحقيق: عصام الدين الصبابطي, الناشر: دار الحديث، مصر , الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ). وانظر فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين (ص/ ٣٩) للعباد , (طبع دار ابن القيم، الدمام , الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ) .

(١٣٩) في المعجم الأوسط (٤/ ٥٣) برقم (٣٥٨٩).

قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٣٠٦). ولم أره في المعجم الكبير, فلعله في الجزء الذي فُقد منه.

وقال الألباني: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير روح بن الفرج وهو ثقة كما في " التقريب " . سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٨٦) رقم (٣٥١).

(١٤٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٣٣) , الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٩/ ٦٢) للكرماني , (نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان , الطبعة: أولى ١٣٥٦هـ) .

(١٤١) فتح الباري (٤/ ٨٤) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٤ – وقيل: المحدِث – بكسر الدال – مَنْ نصر جانيًا وآواه, وأجاره من خصمه, وحال بينه وبين أن يقتصّ منه. وبفتح الدال معناه الأمر المبتدَع نفسه, وإذا رضي بالبدعة وأقرّ فاعلها ولم ينكرها عليه فقد آواه (١٤٢) .

٥ – وقيل: المراد بالحدث هنا الفجور كما قال عمر رضي الله عنه حين كانت الزلزلة بالمدينة: "أحْدَثتم ؟! والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم" (١٤٣) .

٦ – وقال ابن عثيمين : " الحدث هنا يراد به شيئان:

الأول: البدعة, فمن ابتدع فيها بدعة فقد أحدث فيها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل محدثة بدعة, وكل بدعة ضلالة, فمن أحدث فيها حدثاً) أي ابتدع في دين الله ما لم يشرعه الله, في المدينة (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) يعني استحق أن يلعنه كل لاعن والعياذ بالله؛ لأن المدينة مدينة السنة, مدينة النبوة, فكيف يُحدَث فيها حدثٌ مضادٌّ لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

والنوع الثاني من الحدث: الفتنة, أن يُحدث فيها فتنة بين المسلمين, سواء أدّت إلى إراقة الدماء أو إلى ما دون ذلك من العداوة والبغضاء والتشتّت؛ فإن من أحدث هذا الحدث فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

أما من أحدث معصية عصى الله فيها في المدينة فإنه لا ينطبق عليه هذا الوعيد, بل يقال: إن السيئة في المدينة أعظم من السيئة فيما دونها, ولكنّ صاحبها لا يستحق اللعن, الذي يستحق اللعن هو الذي أحدث فيها واحداً من أمرين: إما بدعة, وإما فتنة, هذا عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"(١٤٤) .

---

(١٤٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣/ ٣٣٠) بتصرف يسير .

(١٤٣) الروض الأنف (١/ ٢١٩) للسهيلي , (دار إحياء التراث العربي، بيروت , الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ) .

(١٤٤) شرح رياض الصالحين (٦/ ٢١٣) للعثيمين , (طبع دار الوطن للنشر، الرياض , الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ).

تنبيه : ممن أحدث في المدينة المنورة : يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

قال ابن تيمية : " يزيد بن معاوية قد أتى أموراً منكرة, منها: وقعة الحرة، وقد جاء في الصحيح عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا, من أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهذه المعاني كلها متقاربة, وخلاصتها أن الإحداث في المدينة يشمل ما يلي :

١- من ابتدع فيها بدعة ليست من الدين, وهو الأمر المحدث والعمل المبتدع الذي لم تجر به سنةٌ, ولم يتقدّم به عملٌ (١٤٥) .

فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً " . وقال: " من أراد أهل المدينة بسوء أماعه الله كما ينماع الملح في الماء " . ولهذا قيل للإمام أحمد: أتكتب الحديث عن يزيد ؟ فقال: لا، ولا كرامة! أو ليس هو الذي فعل بأهل الحرة ما فعل ؟ وقيل له: إن قوماً يقولون: إنا نحبّ يزيد, فقال: وهل يحب يزيدَ أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر ؟! فقيل: فلماذا لا تلعنه ؟ فقال: ومتى رأيت أباك يلعن أحداً ؟ " . رأس الحسين (ص/ ٢٧) لابن تيمية الحراني , (تحقيق : محمد حامد الفقي , مطبعة السنة المحمدية , ١٣٦٨هـ) , ومجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٧٨).

وقال أيضاً عن يزيد : " الحق فيه أنه كان ملكا من ملوك المسلمين له حسنات وله سيئات , والقول فيه كالقول في أمثاله من الملوك لا نحبه ولا نسبه , وهو أول من غزا قسطنطينية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أول جيش يغزوها يغفر لهم " , وفعل من أهل المدينة ما فعل وقد توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل فيها قتيلاً ولعنه " مختصر الفتاوى المصرية (ص/ ٢١٠) للبعليّ, (تحقيق: عبد المجيد سليم – محمد حامد الفقي , مطبعة السنة المحمدية – تصوير دار الكتب العلمية) .

(١٤٥) معالم السنن (٢ / ٢٢٣) للخطابي , (الناشر: المطبعة العلمية – حلب , الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ) .

فائدة : قال الشيخ عطية بن محمد سالم – رحمه الله تعالى – : " أشد الناس في التحذير من البدع مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى، ففي ترجمته أن ابن مهدي – وهو من العلماء المشهورين – جاء وصلى في المسجد النبوي في الصف الأول، وألقى رداءه بين يديه، فلما أنهوا الصلاة، أخذ الناس ينظرون إلى الرداء وينظرون إلى مالك فقال: مَن هنا مِن الحراس؟ فجاء اثنان، فقال: خذاه إلى الحبس، فذهبا به إلى الحبس، وفي رواية أخرى: جاءه الحراس فقال: إلى أين؟! قالوا: إلى الحبس، قال: لماذا؟! قالوا: بأمر أبي عبد الله، قال: اذهبوا بي إلى أبي عبد الله، فذهب الحراس به إلى أبي عبد الله مالك بن أنس، فقال: تحدث في مسجد رسول الله ما لم يحدثه أحداً قبلك؟! قال: يا أبا عبد الله! إن الجوّ حارٌّ كما ترى، وثقل عليّ ردائي فطرحته بين يدي، قال: آلله ما أردت مخالفة من قبلك؟ قال: والله! ما أردت مخالفة من قبلي! قال: لا تعُد لذلك، ولا تُحدثن في مسجدنا ما ليس فيه! هكذا يعتبر مالك طرح الرداء بين يديه وهو يصلي حدثاً، ويأمر بفاعله إلى الحبس!

ويقول ابن سرحون: في القرن السابع الهجري كان هناك خدام في المسجد النبوي، فإذا أقيمت الصلاة نظروا: فمن صف وحده خلف الصف، ولم ينضم إلى الصفوف الأولى انتظروا حتى يسلم، فيأخذون به إلى الحبس؛ لأنه أحدث في مسجد رسول الله ما ليس منه، ولماذا لا يقف مع الصفوف الأولى؟

وكان من يطرح السجاجيد في الصف الأول ثم يذهب، يأخذونها إلى بيت مال المسلمين، لماذا يحجز في المسجد ما ليس له حق فيه؟

وجاء رجل إلى مالك رحمه الله وقال: أريد أن أحرم من المسجد النبوي، قال: لا تفعل، أَحْرِم من حيث أحرم رسول الله من ذي الحليفة، قال: يا مالك! وما الذي يمنعني أن أحرم من مسجد رسول الله من عند القبر الشريف؟! قال:

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢- من أتى فيها ذنباً عظيماً, سواء في حق نفسه, أو في حق أهلها بظلمٍ لهم, أو تعدٍّ عليهم .

وهذا يشمل من أحدث وأجرم, والمؤوي لمن أحدث وأجرم بمساعدة أو حماية أو تستّر, فإثمهما سواء.

٣ – من أحدث فيها فتنةً بين المسلمين, سواء أدّت إلى إراقة الدماء, أو إلى ما دون ذلك من العداوة والبغضاء والفُرقة.

كما اختلفوا في المراد بالصرف والعدل في قوله صلى الله عليه وسلم : " لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا " على أكثر من عشرة أقوالٍ (١٤٦) أقتصر هنا على ذكر بعضها :

- قال ابن حجر : عند الجمهور الصرف: الفريضة, والعدل: النافلة, ورواه ابن خزيمة بإسناد صحيح عن الثوري (١٤٧) .

- وقيل: الصرف: التوبة، والعدل: الفدية، ذكره ابن الأنباري عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبه قال مكحول والأصمعي وأبو عبيد .

قال أبو عبيد: " وفي القرآن ما يصدّق هذا التفسير, قوله تعالى: (وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا) [الأنعام: ٧٠]. وقوله: {وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ } [البقرة: ١٢٣] فهذا من قول النبي عليه السلام: لا يقبل منه عدل. وأما الصرف فلا أدري قوله: {فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا}

أخشى عليك الفتنة، قال: وأي فتنة في أميال أزيدها؟ قال: هذه هي الفتنة التي أخافها عليك، أن تظن بنفسك أنك سبقتَ إلى عمل لم يسبقك إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني: تظن في نفسك أنك في إحرامك زدت أميالاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظروا إلى هذه الدقة! ولهذا صدر منه هذا التشديد: (من سن سنة وزعم أنها حسنة، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة) " . شرح الأربعين النووية (دروس صوتية مسجلة).

(١٤٦) تنظر هذه الأقوال في شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٥٤١) , المعلم بفوائد مسلم (٢/ ١١٨) للمازري , (تحقيق: محمد الشاذلي النيفر , الناشر: الدار التونسية للنشر , المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر , المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة , الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م) , إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤/ ٤٨٧) ,كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ١٩٥) , فتح الباري لابن حجر (٤/ ٨٦) , عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٣٣) , الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٣/ ٤٠٩) , إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣/ ٣٣١) , التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢/ ٥١٣) .

(١٤٧) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٨٦) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

[الفرقان: ١٩] من هذا أو لا ؟ وبعض الناس يحمله على هذا ويقال: إن الصرف النافلة والعدل الفريضة. والتفسير الأول أشبه بالمعنى " (١٤٨) .

- وقيل: الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة. قاله الحسن, وهو عكس القول الأول.

قال أبو عبيدة: العدل عند العرب في الجاهلية: الدية، والصرف زيادة على الدية، وهو في الإسلام الفريضة والتطوع (١٤٩) .

- وقيل: الصرف: الاكتساب. والعدل: الفدية. قاله يونس.
- وقيل: الصرف: الشفاعة, والعدل: الفدية؛ لأنها تعادل الدية. وبهذا جزم البيضاوي (١٥٠) .

ولعل الأقرب هو القول الأول والثاني, والله أعلم.

وهذا الوعيد ليس على إطلاقه بحيث لا يقبل منه عملٌ أبداً, كحال الكافر, وإنما هو من نصوص الوعيد التي لا تعني خروجَ مرتكبها من الملّة بالكلّيّة, ولذا قال العلماء: إن هذا يمكن أن يكون في وقتٍ دون وقتٍ إن أنفذ الله عليه الوعيد، ليس هذِه حالهُ عند الله أبدًا؛ لأن الذنوب لا تُخرج من الدين, إنما يُخرج منه الكفرُ (١٥١) .

وقيل: معناه لا تُقبل فريضته ولا نافلته قبول رضىً، وإن قُبلت قبول جزاء؛ لأن الله لا يظلم عباده مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها.

---

(١٤٨) غريب الحديث (٣/ ١٦٧) .

قال الطبري – موجّهاً هذا القول – : الصرف مصدر من قولك: صرفت نفسي عن الشيء أصرفها صرفًا. وإنما عنى به في هذا الموضع صرف راكب الذنب وهو المحدث في الحرم حدثًا من سفك دم أو استحلال محرم فلا تقبل توبته، والعدل: ما يعدله من الفدية والبدل، وكل ما عادل الشيء من غير جنسه وكان له مِثلاً من وجه الجزاء لا من وجه المشابهة في الصورة والخلقة، فهو له عَدل، بفتح العين، ومنه قوله: (وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا) [الأنعام: ٧٠] بمعنى وإن تَفْد منها كل فدية. ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٥٤٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢/ ٥١٤).

(١٤٩) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ١٩٥) .

(١٥٠) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٨٦) .

(١٥١) ينظر التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢/ ٥١٢) ,

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقيل: قد يكون القبول هنا عبارة عن تكفير تلك السيئة والذنب بها، وقد قال تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤] وتكون معنى الفدية هاهنا: لا يجد في القيامة فِدىً يفتدي به، بخلاف غيره من المذنبين الذين جاء من تفضُّل الله على من شاء منهم أن يفديه من النار باليهود والنصارى، ومن شاء من الكفار (١٥٢) . والله أعلم.

١١ – أنها المدينة الوحيدة التي فيها مسجدان فاضلان معظّمان في الشرع, هما المسجد النبوي ومسجد قباء :

مما اختُصّت به المدينة على غيرها من الأمصار, أنها اشتملت على مسجدين فاضلين معظّمين في الشرع, أُسّسا على التقوى من أول يومٍ, هما المسجد النبوي الشريف, ومسجد قباء, بينما لا يوجد في مكة إلا مسجدٌ واحدٌ هو المسجد الحرام, ولا في بيت المقدس إلا المسجد الأقصى.

أما المسجد النبوي فإن الصلاة فيه خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام (١٥٣) فإن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة, لما أخرج البخاري (١٥٤) ومسلم (١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا المسْجِدَ الحَرَامَ " .

وأما مسجد قباء فإن الصلاة فيه كعمرة؛ لما ثبت عند الترمذي (١٥٦) وغيره عن أسيد بن ظهير الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ كَعُمْرَةٍ " .

---

(١٥٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤/ ٤٨٧). وانظر الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٩/ ٦٣).

(١٥٣) جاء في مسند أحمد (١٣/ ١٦٦) رقم (٧٧٣٩) عن أبي هريرة، أو عن عائشة، أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى " لكن إسناده ضعيف؛ لأنه من رواية ابن جريج عن عطاء بن السائب وعطاء مختلط, وابن جريج ممن روى عنه بعد الاختلاط. واللفظ الصحيح الثابت عن أبي هريرة هو "إلا المسجد الحرام" .

(١٥٤) في صحيحه (٢/ ٦٠) رقم (١١٩٠) .

(١٥٥) في صحيحه (٢/ ١٠١٢) رقم (٥٠٦ – (١٣٩٤).

(١٥٦) في سننه (٢/ ١٤٥) رقم (٣٢٤) وقال : " حديث أسيد حديث حسن صحيح، ولا نعرف لأسيد بن ظهير شيئا يصح غير هذا الحديث ".

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكلا المسجدين قد أُسّس على التقوى من أول يومٍ, فمسجد قباء نزل فيه قولُ الله تعالى : {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩)} [التوبة: ١٠٧ – ١٠٩].

وكذلك المسجد النبوي أُسّس على التقوى من أول يومٍ, بل هو أولى بهذا الوصف, ففي صحيح مسلم (١٥٧) عن حميد الخراط، قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن، قال: مرّ بي عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، قال: قلت له: كيف سمعتَ أباك يذكر في المسجد الذي أُسّس على التقوى؟ قال: قال أبي: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ (١٥٨)، ثُمَّ قَالَ: " هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا " لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ ، قال: فقلت: أشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره.

وأخرج أحمد (١٥٩) والترمذي (١٦٠) عن أبي سعيد الخدري، أن رجلاً من بني عمرو بن عوف ورجلاً من بني خدرة امتريا في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال العوفي: هو مسجد قباء, وقال الخدري: هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك، فقال: " هُوَ مَسْجِدِي هَذَا, وَفِي ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ ". قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

قال ابن تيمية: " مسجد قباء أسس على التقوى، ومسجده أعظم في تأسيسه على التقوى من مسجد قباء، كما ثبت في الصحيح عنه: أنه سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال: "

---

(١٥٧) (٢/ ١٠١٥) رقم (٥١٤ – (١٣٩٨).

(١٥٨) قال النووي : " أما أخذه صلى الله عليه وسلم الحصباء وضربه في الأرض فالمراد به المبالغة في الإيضاح؛ لبيان أنه مسجد المدينة. والحصباء – بالمد – الحصى الصغار " . المنهاج في شرح صحيح مسلم (٩/ ١٦٩)

(١٥٩) في مسنده (١٨/ ٣٧٠) رقم (١١٨٦٤).

(١٦٠) في سننه (٢/ ١٤٤) رقم (٣٢٣) وإسناده صحيح.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مسجدي هذا ", فكلا المسجدين أسس على التقوى، ولكن اختُصّ مسجده بأنه أكمل في هذا الوصف من غيره، فكان يقوم في مسجده يوم الجمعة، ويأتي مسجد قباء يوم السبت " (١٦١) .

وقال أيضاً: " سياق القرآن في قوله عن مسجد الضرار: {لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ } [التوبة: ١٠٨] يقتضي أنه مسجد قُباء، فإنه قد تَواتَر أنه قال لأهل قباء: " ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به؟ "، فقالوا: لأننا نَستنجيْ بالماء. لكن مسجده أحقُّ بأن يكون مؤسَّسًا على التقوى من مسجد قُباء، وإن كان كلٌّ منهما مؤسّسًا على التقوى، وهو أحقُّ أن يقوم فيه من مسجد الضرار، فقد ثبتَ عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتي قُباءَ كلَّ سَبْتٍ راكبًا وماشيًا. فكان يقوم في مسجده القيامَ الجامعَ يومَ الجمعة، ثمَّ يقومُ بقُباءَ يوم السبت، وفي كلٍّ منهما قد قامَ في المسجد المؤسَّسِ على التقوى " (١٦٢) .

١٢ – أن الله يبدل من خرج من المدينة رغبةً عنها بمن هو خيرٌ منه :

ثبت ذلك فيما أخرجه مسلم (١٦٣) من حديث أَبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٦٤) ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا

---

(١٦١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٣٤١) لابن تيمية, (تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل , دار عالم الكتب، بيروت، لبنان , الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ) .

(١٦٢) جامع المسائل لابن تيمية (٣ / ٧٥), (تحقيق : محمد عزير شمس , دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع , الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢ هـ) .

(١٦٣) في صحيحه برقم (١٣٨١).

(١٦٤) قال الحافظ ابن حجر : قوله: (لو كانوا يعلمون) أي بفضلها من الصلاة في المسجد النبوي, وثواب الإقامة فيها, وغير ذلك. ويحتمل أن يكون (لو) بمعنى ليت فلا يحتاج إلى تقدير. وعلى الوجهين ففيه تجهيل لمن فارقها وآثر غيرها .... قال الطيبي: الذي يقتضيه هذا المقام أن ينزل ما لا يعلمون منزلة اللازم لتنتفي عنهم المعرفة بالكلية ولو ذهب مع ذلك إلى التمني لكان أبلغ؛ لأن التمني طلب ما لا يمكن حصوله, أي ليتهم كانوا من أهل العلم تغليظا وتشديدا.

وقال البيضاوي: المعنى أنه يُفتح اليمنُ فيُعجب قوماً بلادُها وعيشُ أهلها فيحملهم ذلك على المهاجرة إليها بأنفسهم واهليهم حتى يخرجوا من المدينة, والحال أن الإقامة في المدينة خير لهم؛ لأنها حرم الرسول وجواره ومهبط الوحي ومنزل

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ، تُخْرِجُ الْخَبِيثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ " .

فقوله : (إلا أخلف اللهُ فيها خيراً منه) المعنى أنه لا يضرّ المدينةَ عدمُه، بل ينفعها فقدُه، وذهب إلى غيرها شرُّه، ونظيرُه قولُه تعالى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } [محمد:٣٨](١٦٥).

وقد اختُلف في هذا الإخلاف والإبدال متى يكون ؟

فقيل: إنه خاصٌّ بزمنه ﷺ .

قال ابن عبد البر : " معنى هذا عندي – والله أعلم – في حياته ﷺ , وهذا في مثل الأعرابي الذي قال: " أقلني بيعتي ", ومعلومٌ من رغب عن جوار النبي ﷺ أبدله الله خيراً منه, وأما بعد وفاته ﷺ فقد خرج منها جماعةٌ من أصحابه, ولم تعوَّض المدينة بخيرٍ منهم " (١٦٦) .

قال الزرقاني : " يعني كأبي موسى وابن مسعود ومعاذ وأبي عبيدة وعلي وطلحة والزبير وعمار وحذيفة وعبادة بن الصامت وبلال وأبي الدرداء وأبي ذر وغيرهم، وقطنوا غيرها وماتوا خارجاً عنها, ولم تعوَّض المدينةُ مثلهم فضلاً عن خيرٍ منهم، فدلّ ذلك على التخصيص بزمنه ﷺ " (١٦٧) .

وقيل : بل هو مطلقٌ وشاملٌ لجميع الأحوال والأيام .

البركات لو كانوا يعلمون ما في الإقامة بها من الفوائد الدينية والعوائد الأخروية التي يُستحقر دونها ما يجدونه من الحظوظ الفانية العاجلة بسبب الإقامة في غيرها.

وقوّاه الطيبي لتنكير قوم ووصفهم بكونهم يبسون ثم توكيده بقوله: (لو كانوا يعلمون) لأنه يشعر بأنهم ممن ركن إلى الحظوظ البهيمية والحطام الفاني وأعرضوا عن الإقامة في جوار الرسول؛ ولذلك كرر قوماً, ووصفه في كل قرينة بقوله: (يبسون) استحضاراً لتلك الهيئة القبيحة والله أعلم. فتح الباري (٤/ ٩٣).

(١٦٥) ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥ / ١٨٧٣).

(١٦٦) التمهيد (٢٢/ ٢٨٠) .

(١٦٧) شرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٣٥٢) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال الأُبّي: " الأظهر أن ذلك ليس خاصاً بالزمن النبوي، ومن خرج من الصحابة لم يخرج رغبةً عنها, بل إنما خرج لمصلحة دينية من تعليم أو جهاد أو غير ذلك " (١٦٨) .

لكن تعقّبه الزرقاني بقوله: " لا يقال: ليس النزاع في أن خروجهم لما ذُكر, إنما هو في تعويضها بخيرٍ منهم وهذا لم يقع, فالأظهر التخصيص؛ لأنا نقول: الإبدال مقيد بالخروج رغبةً عنها, فلا يرِد أن الخارج لمصلحة دينية لم تعوَّض مثلهم " (١٦٩) .

١٣ – حصول الرجفات الثلاث التي يُخرج بها المنافقون والكفار منها :

اختُصّت المدينة المنوّرة بحدوث ثلاث رجفاتٍ فيها, يطهّر الله بها المدينة من كل منافق وكافر, كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ " أخرجه البخاري (١٧٠) .

قال ابنُ هبيرة : " في هذا الحديث ما يدل على أن الله تعالى حمى البلدين من أن يُسلّط عليها الدجال، وأن المدينة خاصةً ترجف بأهلها فيخرج منها كل كافر ومنافق؛ وذلك لأنهما في معنى قلب الأرض ولسانها، فإن اللسان من المدينة؛ لأن لسان الشرع إنما نطق مفصحاً بالمدينة . وقلب الإسلام بمكة؛ لأن بها بيت الله, فكما أنه ليس للإنسان إلا قلب واحد، فكذلك ليس في الأرض بيت إلا الكعبة، فكأنه يسلط الدجال على جثث الأرض كلها ويُستثنى منها قلبُها ولسانُها، فيكون على نحو ما سُلّط إبليسُ على أيوب واستُثني منه قلبُه ولسانُه " (١٧١) .

وقد اختلف العلماء في معنى الرجفة الواردة في حديث أنس بن مالك السابق :

---

(١٦٨) المصدر نفسه . ولم أجده في إكمال إكمال المعلم (٤٧٣/٣) بهذا اللفظ.
قال أبو الحسن المباركفوري: هذا هو الظاهر بل الصحيح؛ فإن التعويض والإبدال لما كان مقيّداً بترك المدينة والخروج رغبةً عنها فلا مانع من حمله على الإطلاق والعموم . مرعاة المفاتيح (٩ / ٥١٤) . وانظر مرقاة المفاتيح (٥ / ١٨٧٣).

(١٦٩) المصدر نفسه .

(١٧٠) في صحيحه (٣/ ٢٢) رقم (١٨٨١) .

(١٧١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ١٠٣) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فقيل : معناها تخويفُ أهل المدينة مَن بها من المنافقين والكافرين, وتغلّبُهم عليهم .

قال المهلب: " الرجفة تكون من أهل المدينة على من بها من المنافقين والكافرين, فيخرجونهم من المدينة بإخافتهم إياهم, تغليظاً عليهم وعلى الدجال، فيخرج المنافقون إلى الدجال فرارًا من أهل المدينة ومن قوّتهم عليهم، والله أعلم " (١٧٢) .

وقيل : المراد بالرجفة : الحركة, أي أنه يتحرّك من فيها من الكفار والمنافقين بقدوم الدجال ويخوض بعضهم في بعض. يقال: رجف الشيء: إذا تحرّك، وأرجف القوم: خاضوا في الفتنة كأنهم يحرّكون غيرهم لها (١٧٣) .

وقيل : المراد بها : الإرجاف (١٧٤), وهو إشاعة مجيئه وأنه لا طاقة لأحدٍ به, فيسارع حينئذ إليه من كان يتصف بالنفاق أو الفسق, فيظهر حينئذ تمام أنها تنفي خبثها (١٧٥) .

وقيل : المراد بها : الزلزلة والاضطراب. أي يحصل لها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة؛ يرعب منها كل منافق، ويثبت الله المؤمنين. فيخرج منها حينذاك من ليس مخلصاً في إيمانه, فكأنها تَنفُضُ الكافر والمنافق من أقطارها, ويبقى بها المؤمن الخالص فلا يُسلَّط عليه الدجال (١٧٦).

وهذا القول هو الأقرب للصواب؛ لموافقته لظاهر اللفظ. ولما رواه معمر بن راشد (١٧٧) عن الزهري، قال: أخبرني عمرو بن أبي سفيان الثقفي، أنه أخبره رجل من الأنصار، عن بعض أصحاب

---

(١٧٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٥٥١) . وانظر عمدة القاري (٢٤/ ٢١٦) , والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢/ ٥٥٨) .

(١٧٣) ينظر إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٥٠٣) , مطالع الأنوار (٣/ ١٢٢) (تحقيق : دار الفلاح, وزارة الأوقاف بقطر, الطبعة الأولى, ١٤٣٣هـ) , الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٤/ ١٨٦) , عمدة القاري (٢٤/ ٢١٦) .

(١٧٤) في المطبوع : الارفاق, ولعلها تصحيفٌ؛ فليس لها معنى في السياق .

(١٧٥) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٩٤) .

(١٧٦) ينظر تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٢/ ٢٠٤) للبيضاوي , (تحقيق : لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب , الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت , ١٤٣٣هـ) , وفتح الباري لابن حجر (٤/ ٩٦) , والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢/ ٥٥٩) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

محمد صلى الله عليه وسلم، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال: " يَأْتِي سِبَاخَ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَهَا، فَتَنْتَفِضُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا نَفْضَةً أَوْ نَفْضَتَيْنِ، وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ ... " الحديث. وفي سنده هذا الأنصاري المبهم.

١٤ – الوعيد لمن آذى أهلها بأن يذيبه الله كما يذوب الملح في الماء, أو الرصاص في النار :

اختصّ الله عزّ وجلّ المدينة وأهلها بخصيصة عظيمة ليست لغيرهم, فيها الوعيد الشديد لمن آذاهم أو كادهم, ألا وهي أن الله يذيبه كما يذوب الملح في الماء, أو الرصاص في النار.

فقد أخرج البخاري (١٧٨) بسنده عن عائشة بنت سعد، قالت: سمعت سعداً رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: " لاَ يَكِيدُ (١٧٩) أَهْلَ المَدِينَةِ أَحَدٌ، إِلَّا انْمَاعَ (١٨٠) كَمَا يَنْمَاعُ المِلْحُ فِي الماءِ " .

وأخرجه مسلم (١٨١) من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه بلفظ : " وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ (١٨٢) إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ " .

وعن أبي عبد الله القراظ، أنه قال: أشهد على أبي هريرة أنه قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: " مَنْ أَرَادَ (١٨٣) أَهْلَ هَذِهِ الْبَلْدَةِ بِسُوءٍ – يَعْنِي الْمَدِينَةَ – أَذَابَهُ اللهُ (١٨٤) كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ " أخرجه مسلم (١٨٥) .

---

(١٧٧) في الجامع – المطبوع مع مصنف عبد الرزاق – (١١/ ٣٩٧) رقم (٢٠٨٣٤).

(١٧٨) في صحيحه (٣/ ٢١) رقم (١٨٧٧).

(١٧٩) الكيد : المكر والحيلة في المساءة. قال القسطلاني: أي لا يفعل بهم كيدًا من مكر وحرب وغير ذلك من وجوه الضرر بغير حق . مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٥٤١).

(١٨٠) انماع: بسكون النون بعد همزة الوصل آخره مهملة، قال ابن الأثير: أي يَذُوب ويَجْرِي. ماعَ الشَّيءُ يَمِيعُ، وانْمَاعَ، إذَا ذَابَ وسَالَ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٨١). وانظر مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٣٩٢) , مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٥٤١).

(١٨١) في صحيحه (٢/ ٩٩٢) رقم (٤٦٠ – (١٣٦٣).

(١٨٢) قال النووي: قيل: يحتمل أن المراد من أرادها غازياً مغيراً عليها, ويحتمل غير ذلك. المنهاج في شرح صحيح مسلم (٩/ ١٥٧) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي لفظٍ : " مَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ " أخرجه أحمد (١٨٦).

وقد اختُلف في زمن هذا الوعيد متى هو ؟

فقيل : يكون في الآخرة؛ لقوله في اللفظ السابق: " وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ ".

قال القاضي عياض: " هذه الزيادة (في النار) ترفع إشكال الأحاديث التي لم تذكر فيها، وأن هذا حكمه في الآخرة " (١٨٧) .

وقيل: بل يكون في الدنيا.

قال القاضي عياض: " وقد يكون المراد به من أرادها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا، فيُكفى أمرُه، ويضمحلّ كيدُه كما يضمحلّ الرصاص، ويكون (في النار) مقدماً في اللفظ، كما قال في الحديث الآخر: (كما يذوب الملح في الماء).

أو يكون ذلك لمن أرادها في الدنيا فلا يمهله الله، ولا يُمكّن سلطانه، ويذهبه عن قرب، كما انقضى شأن من حاربها أيام بني أمية, مثل مسلم بن عقبة، وهلاكه منصرفَه عنها، ثم هلاك يزيد بن معاوية مُرسِلِه على إثر ذلك، (١٨٨) وغيرهم ممن صنع مثل صنيعهم " (١٨٩) .

---

(١٨٣) قال ابن الكمال: مريداً أي عامداً عالماً مختاراً, لا ساهياً ولا مجبوراً. فيض القدير (٦/ ٥٠).

(١٨٤) قال المناوي: (أذابه الله) أي أهلكه بالكلية إهلاكاً مستأصلاً بحيث لم يبق من حقيقته شيء, لا دفعة بل بالتدريج؛ لكونه أشد إيلاماً وأقوى تعذيباً وأقطعَ عقوبةً, فهو استعارة تمثيلية في ضمن التشبيه التمثيلي, ولا يخفى لطف موقعه في الأذهان, وغرابة موضعه عن أرباب البيان. فيض القدير (٦/ ٥٠). وانظر التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٩٤) للمناوي , (الناشر : مكتبة الإمام الشافعي – الرياض , الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ).

(١٨٥) في صحيحه (٢ / ١٠٠٧) رقم (٤٩٢ - (١٣٨٦).

(١٨٦) في مسنده (١٤/ ١٠٧) رقم (٨٣٧٣) بسند حسن.

(١٨٧) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤/ ٤٨٤). وانظر فتح الباري لابن حجر (٤/ ٩٤) , فيض القدير (٦/ ٥٠).

(١٨٨) قال الإمام الذهبي في حوادث سنة أربع وستين : " في أولها هلك مسلم بن عقبة الذي استباح المدينة وعمل القبائح وما أمهله الله. والمليح أنه شهد الوقعة وهو مريض في محفّة. نسأل الله العفو.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال السمهودي: " هذا الاحتمال الأخير هو الأرجح، وليس في الحديث ما يقتضي أنه لا يتم له ما أراد منهم، بل الوعد بإهلاكه، ولم يزل شأن المدينة على هذا حتى في زماننا هذا؛ لمّا تظاهرت طائفة العياسا (١٩٠) بإرادة السوء بالمدينة الشريفة؛ لأمرٍ اقتضى خروجهم منها, حتى أهلك الله تعالى عُتاتَهم – مع كثرتهم – في مدة يسيرة.

وقد يقال: المراد من الأحاديث الجمع بين إذابته بالإهلاك في الدنيا وبين إذابته في النار في الأخرى، والمذكور في هذا الحديث هو الثاني، وفي غيره الأول؛ ففي روايةٍ لأحمد برجال الصحيح من جملة حديث: " من أرادها بسوء " – يعني المدينة – " أذابه الله كما يذوب الملح في الماء " وكذا في مسلم أيضاً، وفي "فضائل المدينة" للجندي, حديث : " أيما جبّار أراد المدينة بسوء أذابه الله تعالى كما يذوب الملح في الماء ", وفي روايةٍ لمسلم " من أراد أهل هذه البلدة بسوء – يعني المدينة– أذابه الله تعالى كما يذوب الملح في الماء ", وفي روايةٍ له أيضا : " من أراد أهل هذه البلدة بدهم أو بسوء " ، وروى البزار بإسناد حسن حديث: " اللهم اكفهم من دهمهم ببأس – يعني أهل المدينة – ولا يريدها أحد بسوء إلا أذابه الله كما يذوب الملح في الماء " (١٩١) .

وكذلك لم يمهل يزيد بن معاوية ومات بعد بضع وسبعين يوماً من الحرة. وذلك في نصف ربيع الأول وله ثمان وثلاثون سنة " . العبر في خبر من غبر (١/ ٥١) (تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول , دار الكتب العلمية – بيروت) .

(١٨٩) المصدر نفسه. وانظر فتح الباري لابن حجر (٤/ ٩٤) , فيض القدير (٦/ ٥٠) , التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٩٤).

(١٩٠) قال محقق وفاء الوفا في الحاشية (١٦٨/١) : " يشير المؤلف رحمه الله هنا إلى فرقة من الأشراف الإمامية الذين كانت لهم سطوة في المدينة لعدة قرون, وسوف تأتي الإشارة إلى بعض أفعالهم القبيحة ". وانظر ترجمة ضغيم بن خشرم الحسيني (١/ ٤٦٤) رقم (١٨٣٩) في التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي (تحقيق : عارف عبد الغني, وخالد السويدي, طبعة دار كنان, دمشق, الطبعة الأولى, ١٤٣١هـ).

(١٩١) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ١٦٨) للسمهودي , (تحقيق : محمد نظام الدين الفتيّح, مكتبة دار الزمان, الطبعة: الأولى , ١٤٢٩هـ) . وانظر مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٥٤٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قلتُ: ويؤيده أن المدينة حرمٌ آمنٌ لساكنها, كما ثبت ذلك في حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه قال : أهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى المدينة، فقال:" إِنَّهَا حَرَمٌ آمِنٌ " أخرجه مسلم (١٩٢) , وكذلك ينبغي أن تكون.

تنبيه : قال الهيتمي : فإن قلتَ: لا خصوصية بالإيذاء والظلم لهم, بل ينبغي أن يكونا كبيرتين في حق غيرهم أيضاً .

قلتُ: يتعين حملُ الخصوصية على أنّ إرادتَهم بأيّ سوءٍ وإخافتَهم بأي نوعٍ كبيرةٌ, بخلاف غيرهم، فإنّ شرطَ كونِ كلٍّ مما ذُكر كبيرةٌ أن يكون مما له وقعٌ وبالٌ في العادة (١٩٣) .

١٥ – إسراع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى دخول المدينة عند رؤية معالمها من بعيد :

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفرٍ ودنا من المدينة وشاهد مبانيها وأشجارها, يحثّ السير, ويسرع حتى يدخلها؛ لشدّة حبّه لها. وهو ما لم يفعلْه صلى الله عليه وسلم مع أيّ بلدٍ آخر دخله سواها.

فقد روى البخاريُّ بسنده عن محمد بن جعفر، قال: أخبرني حميد، أنه سمع أنساً رضي الله عنه، يقول:" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ (١٩٤) المَدِينَةِ، أَوْضَعَ

---

(١٩٢) في صحيحه (٢/ ١٠٠٣) رقم (٤٧٩ – (١٣٧٥).

(١٩٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٤٢) بتصرف .

(١٩٤) اختلفت الروايات في ضبط هذه الكلمة, قال ابن حجر : " قوله: "فأبصر درجات" بفتح المهملة والراء بعدها جيم جمع درجة, كذا للأكثر, والمراد طرقها المرتفعة.

وللمستملي : "دوحات" بفتح المهملة وسكون الواو بعدها مهملة, جمع دوحة, وهي الشجرة العظيمة.

وفي رواية إسماعيل بن جعفر عن حميد : "جُدُرات" بضم الجيم والدال, وهو جمع جُدُر بضمتين, جمع جدار.

وقد رواه الإسماعيلي من هذا الوجه بلفظ : "جُدْران" بسكون الدال وآخره نون, جمع جدار.

وله من رواية أبي ضمرة عن حميد بلفظ : "جدر" قال صاحب المطالع: جُدُرات أرجح من دوحات ومن درجات.

قلت : وهي رواية الترمذي من طريق إسماعيل بن جعفر أيضاً " . فتح الباري (٣/ ٦٢٠) بتصرف يسير. وانظر مطالع الأنوار (١٠١/٢) , عمدة القاري (١٠/ ١٣٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

نَاقَتَهُ (١٩٥) ، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا " . قال البخاري : زاد الحارث بن عمير، عن حميد: " حرّكها من حبّها " (١٩٦) . حدثنا قتيبة، حدثنا إسماعيل، عن حميد، عن أنس، قال: " جُدُرَات "، تابعه الحارث بن عمير (١٩٧) .

وقد بوّب عليه الإمام البخاري بقوله: باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة.

وفي حديث أنس رضي الله عنه أيضاً في قصة فتح خيبر قال : " فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، دَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَفَعْنَا، قَالَ: فَعَثَرَتِ النَّاقَةُ الْعَضْبَاءُ ... " الحديث أخرجه مسلم (١٩٨).

وفي لفظٍ له : " فَانْطَلَقْنَا، حَتَّى إِذَا رَأَيْنَا جُدُرَ الْمَدِينَةِ هَشِشْنَا إِلَيْهَا، فَرَفَعْنَا مَطِيَّنَا، وَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَطِيَّتَهُ ... " الحديث (١٩٩).

وأخرج المحاملي في "الدعاء" (٢٠٠) تحت باب: ما يقول إذا أشرف على المدينة راجعاً من سفر, بسنده عن حميد، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قدم من سفر من أسفاره، فأشرف على المدينة، يسرع السير، ويقول: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا بِهَا قَرَارًا، وَرِزْقًا حَسَنًا ".

---

(١٩٥) أوضع ناقته: إذا حثَّها على السير، والإيضاع: ضرب من السير السريع. ينظر جامع الأصول (١١/ ٧٧٦) , تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص/ ٦٣) , مطالع الأنوار (٦/٢٢١) , التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٢/ ٢٦٤) , عمدة القاري (١٠/ ١٣٥).

(١٩٦) قال ابن حجر : أي حرك دابته بسبب حبه المدينة . فتح الباري لابن حجر (٣/ ٦٢٠).

(١٩٧) ينظر صحيح البخاري (٣/ ٧) رقم (١٨٠٢).

(١٩٨) في صحيحه (٢/ ١٠٤٥) رقم (٨٧ - (١٣٦٥).

(١٩٩) المصدر نفسه (٢/ ١٠٤٧).

(٢٠٠) الدعاء (ص/ ١٢٢) رقم (٨٨) . (تحقيق : عمرو عبد المنعم , مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر، مكتبة العلم، جدة, الطبعة : الأولى، ١٤١٤هـ) , ومن طريقه عبد الغني المقدسي في الترغيب في الدعاء والحث عليه (ص/ ٢٤٩) رقم (١٢٩) (تحقيق : فواز أحمد زمرلي, دار ابن حزم – بيروت).

قال الحافظ : "غريب, وفي سنده ضعف" . لكن يشهد له حديث أبي هريرة الآتي فيتقوّى به, ولذا حسّنه الشيخُ المتقن الثبت: عامر بن علي ياسين, وفقه الله. في تحقيقه لكتاب الأذكار (ص/٤٢١) (نشر دار ابن خزيمة, الرياض, الطبعة: الأولى, ١٤٢٢هـ).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأخرج البزار في "المسند" (٢٠١) والطبراني في "الدعاء" (٢٠٢) من طريق أبي أمامة بن سهل بن حنيف، قال : سمعت أبا هريرة، رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله، ما كان يخاف القومُ حين كانوا إذا أشرفوا على المدينة قالوا: اللهم اجعل لنا فيها رزقاً وقراراً، قال: " كَانُوا يَتَخَوَّفُونَ جَوْرَ الْوُلَاةِ, وَقُحُوطَ الْمَطَرِ ".

قال البزار: لا نعلم رواه إلا أبو هريرة، ولا نعلم له طريقاً إلا من هذا الطريق عن أبي هريرة .

قال الشيخ حمزة محمد قاسم : " دلّ هذا الحديث على شدّة حبّه صلى الله عليه وسلم للمدينة, ذلك الحب الذي يتجلى في كل عمل من أعماله، أو قول من أقواله، أو حركة من حركاته صلى الله عليه وسلم، فهو صلى الله عليه وسلم يسرع بدابته عند قدومه إلى طيبة، واقترابه منها؛ شوقاً إليها، حتى إنه صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره طرح رداءه، وقال: " هذه أرواح طيبة " (٢٠٣)، كما جاء في بعض الروايات الصحيحة، وفي بعضها أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قدم المدينة يسير أتمَّ السير، ويقول: " اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً " (٢٠٤) . وإذا دخل مكة قال: " اللهم لا تجعل منايانا بمكة " أخرجه أحمد في " مسنده " (٢٠٥) ، وما ذلك إلاّ لأنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الموت

---

(٢٠١) كشف الأستار عن زوائد البزار (٤/ ٣٥).

(٢٠٢) الدعاء (ص/ ٢٦٤) رقم (٨٣٧).

(٢٠٣) لم أقف عليه مسنداً, لكن ذكره السمهودي في وفاء الوفا (١/ ١٨٩) وعزاه لابن زبالة فقال : " صح عنه صلّى الله عليه وسلّم في محبة المدينة ما لم يرد مثله لمكة؛ ففي صحيح البخاري وجامع الترمذي حديث " كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أوضع راحلته، وإن كان على دابة حركها من حبها" وفي رواية لابن زبالة " تباشراً بالمدينة " ، وفي رواية له " كان إذا أقبل من مكة فكان بالأثاية طرح رداءه عن منكبيه وقال: هذه أرواح طيبة " .

(٢٠٤) تقدم تخريجه قريباً.

(٢٠٥) المسند (٨/ ٣٩٦) برقم (٤٧٧٨) و (١٠/ ٢٥٢) برقم (٦٠٧٦) بسنده عن ابن عمر, ولفظه: قال ابن عمر: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة قال:" اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ مَنَايَانَا بِهَا حَتَّى تُخْرِجَنَا مِنْهَا " .

قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين, وإسناده صحيح إن ثبت سماع سعيد بن أبي هند من ابن عمر؛ فلم نجد في كتب الرجال سماعه منه, وهو قد أدرك عبد الله بن عباس وسمع منه, فهو معاصر لابن عمر, ولم يوصف بالتدليس. وانظر وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (١/ ٤٦).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بالمدينة، فمن السنة أن يستشعر المسلم عند اقترابه من المدينة مشاعر الفرحة والبهجة وأن يسرع بسيارته، فإنها المدينة التي تحن إليها قلوب المؤمنين، ورحم الله الشاعر إذ يقول في الحنين إلى طيبة:

دَارُ الحَبِيْبِ أحقُّ أن تَهْواهَا وَتَحِنُّ مِنْ طَرَبٍ إلَى ذِكْرَاهَا (٢٠٦)

****

الخاتمة وأهم نتائج البحث

وبعد هذا التطواف الماتع, مع هذا الموضوع الهام, فإنني أشكر الله تعالى على ما يسّر وأعان, ووفق وسدّد, ثم إني أنبّه هنا إلى بعض النتائج المهمة التي توصلتُ إليها خلال هذا البحث, فمن تلك النتائج:

١) عظمة المدينة المنورة, واصطفاء الله لها, من خلال تمييزها بهذه المزايا والخصائص التي لم يجعلها لغيرها .

٢) أنها البلد الذي احتضن الرسول صلى الله عليه وسلم وناصره وناصر دعوته, حتى فتحت منها مكة, ومعظم الأمصار .

٣) الحث على سكناها, والموت بها, والصبر على شدتها ولأوائها؛ لنيل الأجر العظيم والثواب الجزيل المرتّب على ذلك .

٤) جمعها لجميع أنواع الأمن : الأمن البدني , والأمن النفسي , والأمن الصحي , والأمن الفكري والعقدي , والأمن الغذائي .

٥) أنها طيّبة لا تقبل إلا طيّباً, ومن طيبها أنها تنفي خبثها وشرارها, وتخرجهم منها .

٦) احتضانها لمسجدين فاضلين عظيمين في الإسلام, كلاهما قد أُسس على التقوى من أول يوم , هما المسجد النبوي, ومسجد قباء.

هذا ما تيسّر إعداده , وتسنّى إيراده , والله أعلم , وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(٢٠٦) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٣/ ١٦٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

****

فهرس الموضوعات

المقدمة ص٢

خطة البحث ومنهجه ..... ص ٥

المدينة الوحيدة التي حثَّ النبيُّ ﷺ على سكناها والبقاء بها إلى حلول الأجل ص٨

المدينة الوحيدة التي يُكافأ المسلم إذا صبر على لأوائها وشدّتها بشهادة النبي ﷺ أو شفاعته يوم القيامة.....ص١٢

أنها تأكل القرى ص١٩

أعظم البلاد بركةً, بل إن بركتها ضِعفيْ بركة مكة ص٢١

أصحُّ البلاد على الإطلاق ص٢٢

لا يدخلها الطاعون ..... ص ٢٦

تنفي خبثها وشرارها وتخرجهم منها ..... ص ٢٨

لا يدخلها رُعْبُ المسيح الدجَّال ..... ص ٣٥

الذي يفضح المسيحَ الدَّجالَ رجلٌ من أهل المدينة ..... ص ٣٧

الوعيدُ لمن أحْدَثَ فيها حَدَثاً أو آوى مُحْدِثاً بلعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين .....ص ٣٩

المدينة الوحيدة التي فيها مسجدان فاضلان معظّمان .....ص ٤٩

إبدال الله من خرج من المدينة رغبةً عنها بمن هو خيرٌ منه ..... ص ٥١

حصول الرجفات الثلاث التي يُخرج بها المنافقون والكفار منها ..... ص ٥٣

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الوعيد لمن آذى أهلها بأن يذيبه الله كما يذوب الملح في الماء, أو الرصاص في النار .....ص ٥٥

إسراع النبيّ صلى الله عليه وسلم لدخول المدينة عند رؤية معالمها من بعيد ص٥٨

الخاتمة وأهم نتائج البحث ..... ص ٦١

فهرس الموضوعات ..... ص ٦٢

****